

تكوين الفكر العربي قبل الإسلام

من اللغة -
-2-

الدكتور رشاد محمد خليل

2 - التجريد والمجاز :

لما كانت عملية التجريد باللغة الدلالة على التطور والرقى العقلى والنفسى لاتها تقوم على أساس من التصور العقلى الخالص كما تحتاج الى قدر كبير جدا من سعة الخيال ودقة الملاحظة وارهاف الحس وسعة الادراك فانا نريد أن نتعرف على المستوى العقلى والنفسى للعرب من خلال هذه العملية . وقد جمع لنا أصحاب المعاجم اللغوية كمية ضخمة من هذه المادة اللغوية ولكنهم لم يراعوا مع الاسف ترتيب هذه المادة ترتيبا يكشف لنا عن كيفية تدرج هذه المعانى في علاقتها بمادتها الاصلية بل تراهم احيانا يعمسون الترتيب فيبدأون بآخر مراحل التجريد قبل المادة الحسية التى يتصور انها اصل هذا المجاز ولا يعنى هذا انه يمكن الحصول على علاقة مؤكدة بين كل مادة مجازية ومجردة وبين اصلها الحسى لان مراحل التطور الطويلة والبالغة الغموض قد باعدت كثيرا بين كثير من المجردات وبين اصلها الحسى ويجب ان يتصور بداهة ان كل ربط بين المجردات واصل حسى انما هو ربط ظنى لا اكثر فنحن لا نرى اذا كانت هذه المادة التى رواها المعجم حسى بالذات المادة الوحيدة فعمل كثيرا من المواد من نفس البناء والنوع قد ضاعت في طريق التطور ويكفى أن نقول اننا نلمح صلة بين المادة الحسية والمادة المجردة في هذا الاصل أو ذاك ، ونعرض مثالا لما نتبين فيه علاقة وثيقة بين الحسى والمجرد .

(مادة جمل) اللسان : 1 - الجمل الذكر من الابل ، والجمل الناقة ، 2 - الجمل بالتخفيف الجبل الغليظ وكذلك الجمل مشدد ، 3 - الجمل الجماعة من الناس ، 4 - الجامل قطيع من الابل مع رعياتها ، وتقع على الذكور والاناث ، 5 - وفي المثل اتخذ الليل جملا يضرب لمن يعمل بالليل في قراءة أو صلاة ونحوها ، 6 - الجليل الحى العظيم ، 7 - وجمل أبو حبي من مخج ، 8 - والجمالة الخيل ، 9 - رجل جامل ذو جمل ، واجمل القوم كثرت جمالهم والجمالة اصحاب الجمال ، 10 - استجمل البعير صار جملا ، 11 - والجمال الصاخب ، 12 - الجمل الرجل ، قالت امرأة لمائشة أوخذ جملى اى احبسه عن اتيان النساء ، 13 - وجمل الرجل الجمل عزله عن الطروقة ، 14 - ناقة جمالية وثيقة تشبه الجمل ، 15 - رجل جمالى بالضم والياء مشدودة ضخم الاعضاء تام الخلق ، 16 - الجمل النخل ، 17 - الجمل سمكة بحرية ، 18 - الجميل طائر من الدخاخيل ، 19 - الجميل البليل ، 20 - الجميل تصغير طائر ، 21 - الجمال مصدر الجميل ، والجمال الحسن ، 22 - وجمال بالتخفيف اجل من الجميل ، 23 - وجمله زينه ، 24 - التجميل تكلف الجميل ، 25 - جمل الله عليك دعاء ، 26 - امرأة جملاء وجميلة ، 27 - الجمال في الصور والمعانى وفي الحديث : ان

الله جميل يحب الجمال أى حسن الأعمال كامل الاوصاف
28 - المجاملة المعاملة بالجميل ، 29 - المجامل الذى
يقدر على جوابك فيتركه ابتغاء على مودتك ،
30 - المجامل الذى لا يقدر على الجواب فيحتقد ،
31 - جمالك مبرك ، 32 - جامل مجاملة ذاهن ،
33 - جمالك أن لا تفعل كذا أى الزم الامر الاجمل ،
34 - جميل ذو اناة أو قوى ، 35 - أجمل الصنيفة
عند فلان .

36 - واجمل فى طلب الشيء اتاد واعتدل فلم
يفرط قال : الرزق مقسوم فاجمل فى الطلب .

37 - وجملت الشيء تجيلا - وجمرته تجميرا
إذا اطلت حبسه .

38 - ويقال للشحم المذاب جميل قال أبو
خراش :

تقابل جوعهم بمكالات من القرنى يرعبها الجميل
39 - وجمال الشيء جمعه .

40 - والجميل الشحم يذاب ثم يُجمل أى يجمع .

41 - وقيل الجميل الشحم يذاب فكلما قَطُرَ وَكَّفَ
على الخبز ثم أعيد .

42 - وقد جملة بجملة جملا واجمله اذابه
واستخرج دهنه وجبل انصح من أجمل ، وفى الحديث
لعم الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجلوها وياعوها
وأكلوا اثمائها .

43 - واجتمل كاشتوى .

44 - وتجميل اكل الجميل وهو الشحم المذاب ،
وقالت امرأة من العرب لابنتها تجملنى وتعنفى أى
كللى الجميل واشربى العفافة وهو باقى اللبن فى
الضرع .

45 - والجميل المرأة التى تذيب الشحم .

46 - وقالت امرأة لرجل تدعو عليه جملك الله
أى اذابك كما يذاب الشحم .

47 - والجميل المرأة السمينة .

48 - والجميل الإهالة المذابة واسم ذلك الذائب
الجمالة .

49 - والاجتمال الإدهان به .

50 - والاجتمال أيضا أن تشوى لحما فكلما وكمت
اهالته استوتقته على خبز ثم أعدته .

51 - الفراء : جملت الشحم أجمله جملا واجتملته
إذا أدبته ويقال أجملته وجملته أجود واجتمل الرجل
قال لبيد : فاشتوى ليلة ريح واجتمل .

52 - والجملة واحدة الجمل .

53 - والجملة جماعة الشيء .

54 - واجمل الشيء جمعه عن تفرقه ، واجمل
له الحساب كذلك .

55 - والجملة جماعة كل شيء بكماله من الخسب
 وغيره يقال أجملت له الحساب والكلام قال الله تعالى :
« لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة » وقد أجملت
الحساب إذا رددته الى الجملة وفى حديث القدر كتاب
فيه اسماء اهل الجنة والنار أجمل على آخرهم فلا يزداد
فيهم ولا ينقص .

56 - وأجملت الحساب إذا جمعت احاده
وكملت افراده أى أحصوا وجميعوا فلا يزداد فيهم ولا
ينقص .

57 - وحساب الجمل بتشديد الميم هو الحروف
المقطعة على أبجد قال ابن دويد لا أحسبه مرييا ،
وقال بعضهم هو حساب الجمل بالتخفيف . قال ابن
سيده ولست منه على ثقة .

58 - وجمال وجول اسم امرأة ، وجمال
بنت أبى مشافر وجميل وجميل اسمان والجمالان من
شمرأ العرب حكاه ابن الاعرابى .

وهكذا نرى أن مادة واحدة هى الجمل قد
أصبحت محورا تدور حوله ثمان وخمسون مادة
اشتقاقية قد جردت مجازا من الجمل - على الاغلب -
وهو الحيوان المعروف .

فنحن نجد على الاقل التسعة عشر مادة الاولى
واضحة الصلة (بالجميل) إما من ناحية التلفظ ووثيقة
التركيب كالجميل بمعنى الحبل الغليظ وإما من ناحية
التكامل والجمال كالجمال الجماعة من الناس وإما من
ناحية التعلية كالجمال بمعنى تطيع الإبل ورعيانه وإما
مجازا على سبيل المثال مثل : اتخذ الليل جملا
وإما على معنى التجهيز والكرة كالجمال الحى
المعظم وإما على سبيل التشبيه كالجمالة بمعنى
الخيول أو بمعنى الملك كرجل جامل وإما بمعنى النمو

كاستجمل البعير وأما على سبيل الكناية كما جاء في الحديث « لكل ناس في جبلهم قَبر » وقول المرأة أَوَّخَذَ جَمَلِي .

ومما ورد منها على سبيل التشبيه رجل جَمَالِي أى ضخم الاعضاء تام الخلق وكذلك الجمال كناية عن النخل تطلق التسمية مجازا على كثافات أخرى مثل السمكة التى يقال انها ضخمة كالجمال وقد تطلق التسمية على أميان من القبائل والرجال والنساء كما تطلق التسمية على سبيل المقارنة كما سُمي البلبل جَمِيلا على سبيل التصغير وكما سُمي كذلك طائر آخر وهذه كلها مجازات واضحة العلاقة .

أما في المجردات والمجازات الباقية فلما نجد الجميل بمعنى الحسن والبهاء والجميل بمعنى المعروف ، وهى مجردات معنوية خالصة وهنا نجد أن الجميل بمعنى المعروف ومشتقاته قريب الصلة من بعض صفات الجَمَل وهى الإتقاد والأناة ومنه أجمل فى طلب الشيء وأتاد واعتدل فلم يفرط ومنه الجامل الذى يقدر على الجواب فيتركه أما إبقاء على المودة أو انتظارا لفرصة انتقام فذلك قريب الصلة بمعنى التؤدة والأناة وكذلك جمالك أيها القلب أى ترفق ويمكن أن يلحق به إسداء الجميل لأن فيه معنى الرفق وهو لاحق بمعنى التؤدة والأناة .

أما الجمال بمعنى الحسن والتَّجْمِيل بمعنى التزيين فلعل اشتقاقه من الجميل بمعنى الشحم المذاب أقرب لأن من هذا الجميل الاجتبال أى الادهان به وهو يكسب الجسم رونقا وبهاء ومنه الجميل وهى المرأة السمينة وهى عندهم أبهى وأحلى من المرأة النحيفة على أن الجميل بمعنى الدهن المذاب يبدو اشتقاقه من ثم من الجمل بمعنى الحيوان أقرب لأن الجميل الشحم يذاب ثم يجمل أى يجمع فتكون له فى تجمعه هيئة الجمل .

ثم يأتى الجمل بمعنى الجمع وجمل الشيء أى جمعه ومنه يشتق الجملة واحدة الجمل والجملة بمعنى جماعة الناس والجملة جماعة كل شيء بكماله من الجيباب وغيره . . . وهكذا .

ولا شك أن القدرة على استخراج كل هذه المواد

الحسية والمعنوية من مادة حسية واحدة وملاحظة كل هذه العلاقات المتجمعة والمتفرقة مع قدرة كبيرة على التمييز وعدم الخلط تمثل مرحلة عقلية ونفسية راقية كما تكشف عن قدرات كثيرة ومتنوعة لا يمكن أن تتوفر الا فى عقلية متحضرة .

المجازات الخاصة بالعقل والنفس :

ولما كان تتبع المجاز على هذه الصورة عملية شاقة ولا يمكن أن يقوم بها فرد واحد ، فقد فضلت أن أتعرف على نوع واحد من المجازات والمجردات المعنوية التى تتعلق بالعقل والنفس والقلب والروح والضمير لكشف مدى تصورهم لهذه الجوانب الانسانية بمختلف وظائفها المعقدة ومختلف الاستعدادات والمواطف والميول والذرات التى تحكم تصرفات الانسان او تدفع اليها . . لان ذلك فى حد ذاته بالغ الدلالة على المستوى الفكرى الذى بلغوه فليس ادل على نضج العقل من القدرة على رصد العقل نفسه ووصف عملياته وأوجه نشاطه وكذلك الحال بالنسبة لبقية جوانب الانسان الاخرى .

العقل :

ورد ذكر العقل تحت أسماء مختلفة منها طبعاً اسم (عقل) .

ولكن يلاحظ أن استعمال كلمة عقل دلالة العقل نفسه ترد فى الشعر الجاهلى على النثرة ويفضل الشعراء — كما دلتهم دائماً فى التعبير عن الشيء بلوازمه أو بوظائفه — استعمال كلمات أخرى للدلالة على العقل .

من هذه الكلمات (اللب) يقول حاتم الطائى :
وذو اللب والتقوى حقيق اذا رأى

فوى طبع الاخلاق ان يتكرما (1)
ويقول عبيد بن الأبرص :

ولا تتبمسن الراى منه تقضه
ولكن برأى المرء ذى اللب فلتد (2)

ويقول عروة بن الورد :

وانسى حين تشتجر الموالى
حوالى اللب ذو رأى زميت (3)

(1) الديوان ص 24 .

(2) الديوان ص 30 .

(3) الديوان ص 167 .

ويقول عنصرة :

- مجرتك نابضى حيث شئت وجريى
من الناس غيرى فالليب يجرب (4)
ومنها (النهى) يقول ذو الاصبع العدوانى :
بعد الحكوة والفضيلة والنهى
ملك الزمان عليهم بأوان (5)

ويقول الحطيئة :

- انت الامام الذى اتى اليه
ك متاليد النهى البشر (6)

ويقول عنصرة :

- لقد ثناني النهى منها وادبنى
فلمست أبكى على رسم ولا طلل (7)
ومنها (الحلم) يقول امرؤ القيس :

- اتبلت مقتصدًا وراجمنى
حلمى وسدد للندى فملس (8)

ويقول النابغة الذبياني :

- لهم شبة لم يعطها الله غيرهم
من الجود والاحلام غير موازب (9)

ويقول أيضا :

- فلت حلومهم وغرهم
سن الميذى فى دعى وتمزيب (10)

ويقول أيضا :

- احلام ماد واجساد مطهرة
من المعنة والآفات والاثم (11)

ويقول دريد بن الصمة :

- يا آل سفيان ما بالى وبالكم
اتتم كبير وفى الاحلام مصفور (12)

ويقول الحرث بن ولة الذهلى :

- وزعمتم ان لا حلوم لنا
ان المصاقرمت لدى الحلم (13)

ويقول زهير :

- وان جنتهم الفيت حول بيوتهم
مجالس قد يشفى بالحلما الجهل (14)
وللمثل بأسمائه المختلفة وظلث متعددة مثل
الوعى والتفكير والتفكر والتفيل والفصل فى الامور
وحسبها وتقديرها بالظن أو الشك أو اليقين والتنبه
لها والطم بصوابها وخطئها وحققها وياطلها ومرونها
ومنكرها .

ويستعين المثل على المعرفة بالسمع والبصر
ويعبر عن نفسه باللسان والمنطق الذى يختلف باختلاف
المقول راحة وسلامة ونفاذا ..

ومن ثم يكون المنطق سديدا واللسان مبينا والرأى
صائبا كما يكون على العكس من ذلك منطلقا غير محكم
ولسانا عيبا ورأيا ضالا ..

فالادراك الفكسى للشيء اى الادراك المصحوب
بالفهم وحسن التقدير يسمونه (الفطنة) يقول تيس
ابن عاصم المنقرى :

لا يظنون لميب جارهم
وهم لحظ جواره نطن (15)

وحسن التصرف فى الامور ومواجهة مظالمها
بالنصرف الحسن .

- (4) الديوان ص 15 .
(5) اغاتى 3 / 109 .
(6) اغاتى 2 / 186 .
(7) الديوان ص 67 .
(8) الديوان ص 338 .
(9) المختار ص 95 .
(10) المختار ص 89 .
(11) المختار ص 116 .
(12) اغاتى 10 / 14 .
(13) حماسة 1 / 50 .
(14) من الديوان ص 113 .
(15) حماسة 2 / 217 .

يقول المتلمس :

شدوا الجمال باكوار على عجل

والظلم ينكره القوم المكابيس (16)

فالأكياس هم أصحاب العقول الراجحة يقول
امرؤ القيس :

تلك المنايا فما ييقين من احد

يكتفن حمى وما ييقين أكياسا (17)

ويستطيع العقل أن يميز معروف الامور من
منكراتها والتمييز هنا هو التمييز بالعلم ضد الجهل
يقول المرقش الأكبر :

ودوية غبراء قد طال عهدها

تهالك فيها الورد والمرء ناعى

تطعت الى معروفها منكراتها

بعمية تنسل والليل دامى (18)

ويقول عروة بن الورد :

تجاوب احجار الكاس وتشكى

الى كل معروف راته ومنكر (19)

والعلم قد يكون يقينا لا شك فيه.

يقول امرؤ القيس :

وايقن ان لا يقينه ان يومه

بذى الرمث ان ناوشته يوم انفس (20)

ويقول جزء بن ضرار :

تمامته لما اتانى يقينه

وانزع منه مخطيء ومصيب (21)

وعلم اليقين هو العلم الحق يقول المتلمس :

واعلم علم حق غير ظن

وتقوى الله من خير العتاد (22)

(16) جمهرة ص 114 .

(17) الديوان ص 62 .

(18) مفضليات 2 / 12 .

(19) الديوان ص 65 .

(20) الديوان ص 104 .

(21) حماسة 1 / 95 .

(22) اغاني 23 / 570 .

(23) المختار ص 52 .

(24) الديوان ص 209 .

(25) الديوان ص 109 .

(26) الديوان ص 184 .

(27) الديوان ص 57 .

(28) الوحشيات ص 16 .

فاليتين اذن ضد نوع آخر من العلم وهو الظن
وهو العلم غير المؤكد او غير المقطوع به يقول طرفة :

واعلم علما ليس بالظن انه

اذا ذل مولى المرء فهو ذليل (23)

والعلم الظنى يصحبه الشك في صحته فاما ان

يثبت فيصبح يقينا يقول عروة بن الورد :

وقلب جلا عنه الشكوك فان تشا

يخبرك ظهر الغيب ما انت فاعل (24)

ويلاحظ هنا انه استعمل القلب مكان العقل

وهو جائز عندهم . والظن اعتقاد قد يصدقه الخبر كما

يقول النابغة :

وهم ساروا لحجر فى خميس

وكانوا يوم ذلك عند ظنى (25)

ويسمى الذى لا يصدق الخبر عادة ظنونا يقول

زهير :

الا ابلغ لديك بنى تميم

وقد ياتيك بالنصح الظنون (26)

وقد يسمى الظن اذا كان غير مؤسس على وقائع

تبرره بالظن الاحق . يقول عنتره :

فلتعلمن اذا التقت فرساننا

بلوى النحيضة ان ظنك احق (27)

ومن يصدق ظنه في الامور التى لا تتوفر اسباب

اليقين فيها حالة تصورها يسمى بالالعى . يقول

مالك بن حريم :

تدارك فضلى الالعى ولم يكن

بذى نعمة عندى ولا بخليل (28)

ويسمى هذا الظن الذي يصادف موقعه دون
توفر الدلائل لديه بالحدس يقول الحارث بن حلزة :
نوقفت فيها الركب احدس فى
بعض الامور وكنت ذا حدس (29)
ويقال للظن وهماً وتوهماً ايضاً يقول عدى
ابن زيد :
فان اخطأت او اوهمت امراً
فقد يهم المصافى بالحبيب (30)
ويقول جابر بن حنى التغلبى :
الا يا لقومى للجديد المصرم
وللحلم بعد الذلة المتوهم (31)
على ان للظن جانباً آخر غير جانب العلم والجهل
بالامور وهو جانب ذو طبيعة اخلاقية لانه ظن يتعلق
بأخلاق الآخرين وسلوكهم وتصرفاتهم وهذا النوع من
الظن بالآخرين اما ان يكون ظناً حسناً كما يقول النابغة
الذبياني :
حلفت يميناً غير ذى مثوية
ولا علم الا حسن ظن بصاحب (32)
واما ان يكون ظناً سيئاً كما يقول النابغة ايضاً :
فان كنت امراً قد سؤت ظناً
بمعدك والخطوب الى تبال (33)
او ظناً احمق يقول عنقرة :
فلتعلمن اذا التقت فرساننا
بلسوى التجيرة ان ظنك احمق (34)
ويسمى ايضاً ظنة يقول حاتم الطائي :
وانسا نهين المال فى غير ظنة
وما يشتكينا فى السفين ضريرها (35)

وقد يكون الظن اتهاماً يقول المرقش الاصفر :
تؤذى صديقاً وتبدي ظننه
تحرز سهماً وسهما ما نشيم (36)
ويمتدح بالعلم واتساع المعرفة يقول النابغة :
ينبك ذو فضلهم عنى وعالمهم
وليس جاهل شئ مثل من علما (37)
ويقول عروة بن الورد :
واكفى ما علمت بفضل علم
واسال ذا البيان اذا عييت (38)
ومصاحب الراى الفاضل او السديد او الزميت
يسمى حازماً وهو الذى يتخذ قراره ويرى رأيه بعد
تدبر ثم يمشى فيه بلا تردد . يقول امرؤ القيس :
حصه الدهر وغطى حزمه
وانتضاه من عبيد سيد (39)
ويقول اوس بن حجر :
ان الذى جمع الساحة والنجدة
والحزم والقوى جمعا (40)
اودى وهل تغنى الاشاحة من
شئ لمن قد يحاول النزعا
ويقول عنقرة :
فضائل عزم لا تباع لضارع
واسرار حزم لا تذاع لغائب (41)
وقد توصف الامور المطلوب ابرامها بالحزم او
عديمه كما يقول الحصين :
وابلغ انيسا سيد الحى انه
يسوس امورا غيرها كان احزما (42)

(29) مفضليات 1 / 53 .

(30) اغاني 2 / 112 .

(31) مفضليات ص 201 .

(32) المختار ص 85 .

(33) المختار ص 140 .

(34) الديوان ص 57 .

(35) الديوان ص 27 .

(36) مفضليات ص 349 .

(37) المختار ص 96 .

(38) الديوان ص 168 .

(39) الديوان ص 219 .

(40) اغاني 11/74 .

(41) الديوان ص 11 .

(42) مفضليات 1/21 .

ويوصف الراى السديد بالحصافة والابرام يقول
الاعشى :

فلا بأس انى قد اجوز حاجتى
بمستحصف باق من الراى مبرم (49)
ويكشف الكلام عن خطأ الراى او صوابه يقول
زهير :

وكائن ترى من صابت لك معجب
زيادته او نقصه فى التكلم (50)
لسان وسيف صارم وحفيظة
ورأى لاراء السرجال سرور
كما يتفاخر ايضا بالراى الزميت والزميت من
الرجال هو الرجل الهادى الوقور فى مجلسه الحليم
فكانهم يربطون بين سداد الراى والانة فيه وتدبره قبل
الادلاء به يقول عروة ايضا :

وانى حين تشجر الموالى
حوالى اللب ذو راى زميت (51)

وليس يلزم للراى ان يكون كلاما يجهر به صاحبه
للناس وانما قد يكون الراى قرارا يتخذه صاحبه بينه
وبين نفسه كما يفهم ايضا من كلام عروة ويسمى
اصحاب الراى الفاصل والسديد والحاتم باهل الراى .
يقول الانوف الاودى :

تهدى الامور باهل الراى ما صلحت
فان تولت فبالاشرار تنقاد (52)
ويوصف الراى اذا لم يكن مسددا بأنه ضعيف
يقول المثلث :

فان تبدلت من قومى عديكم
انى اذا لضعيف الراى مالوس (53)

ومن يشتهر بجودة الراى والحزم يصبح حكما
او صاحب حكومة يقول ذو الاصبع العدوانى :

بعد الحكومة والفضيلة والنهى
طاف الزمان عليهم باوان (43)

ويقول النابغة :

فكن كابييك او كابى براء

توافك الحكومة والصواب (44)

وتكتمل أدوات راحة العقل وخزمه وسداد رايه
بحسن السمع والمقصود بذلك اجادة تدبر ما يسمعه
وحسن البصر اى تحقيق الرؤية قبل ابداء الراى وذلك
مع فصاحة اللسان الذى يعبر عن الراى ويفصح عنه
وقد جمع امرؤ القيس ذلك كله فى قوله ساخرا :

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر

ولا لسان فصيح يعجب الناسا (45)

وليس كل من يعلم ينتفع بعلمه ويحسن استخدامه

يقول الحصين بن حمام :

وابلغ تليدا ان عرضت ابن مالك

وهل ينفعن العلم الا المعلما (46)

والحك الذى تختبر به راحة العقل ودريته

وبصره بالامور هو الراى الذى يبديه فى المشكلات وما

يشتهه من امور الناس والذين يصدر رايهم عن راحة

عقل وخبرة بالامور وحسن بصر بها هم فاضلو الراى

يقول طرفة :

ولقد تعلم بكر اننا

فاضلو الراى وفى الروع وقر (47)

ويوصف الراى السديد بالصواب يقول زهير :

دفعت بمعروف من القول صائب

اذا ما اضل الناطقين مفاصله (48)

(43) مفضليات 22/1 .

(44) مختار ص 121 .

(45) الديوان ص 62 .

(46) مفضليات ص 68 .

(47) المختار ص 24 .

(48) الديوان ص 78 .

(49) الديوان ص 92 .

(50) المعلقة .

(51) الديوان ص 168 .

(52) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 232 .

(53) اغانى 23 / 553 .

ويستهجن استعمال المنطق في غير موضعه ويفضل
السكوت في موضعه يقول امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شيء سواه بخزان (61)

ويطلب من صاحب المقال الصدق . يقول حاتم
الطائي :

ناصر حديثك ان المرء يتبعه
ما كان بينى اذا ما نعشه حملا (62)

كما يطلب منه الترفع عن الفحشاء وعدم الممارسة
يقول المرنديس :

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا
ولا يمارون ان ماروا بالكفار (63)

ويسمى المنطق الفاحش بالمنطق الهجر تقول
الخرنق :

ان يشربوا يهنوا وان يذروا
يتواءموا عن منطق الهجر (64)

وللكلام جرح كجرح اليد يقول امرؤ القيس :

ولو عن نثا غيره جاعنى
وجرح اللسان كجرح اليد (65)

اذا انت جالست الرجال فلا يكن
عليك لمورات الكلام دليل

وقد سمى سعد الكلام المجانب للسداد بالكلم
الموران يقول :

وعوراء قد قيلت فلم استمع لها
وما الكلم الموران لى بقبول (66)

فاذا اسرف في الخطأ فهو سفیه يقول النابغة :
ان الحمول التى راحت مهجرة

يتبعن كل سفیه الراى مغير (54)

ويوصف الراى الخاطىء بأنه راى مضلل يقول
الطيمس :

تذنت بها في اليم من جنب كافر
كذلك القى كل راى مضلل (55)

كما توصف العقول او الحلوم التى يجور راياها
عن جادة الصواب بالضللال . . يقول النابغة :

ضلت حلومهم عنهم وغرهم
من المعيدى في دعى وتمزيب (56)

ومن خصائص العقل المنطق يقول محرز بن
المكبد الضبى :

كسالى اذا لاقيتهم غير منطق
يلهى به المتبول وهو عفء (57)

واداة المنطق اللسان يقول سويد بن ابي كاهل
البشكري :

ولسانا صيرفيا صارما
كحسام السيف ماسم قطع (58)

ومن صفات المنطق السليم الفصاحة تقول ام
تيس الضبى :

نوجته بلسان غير ملتبس
عند الحفاظ وقلب غير مزوود (59)

ويسمى الذى يبين عن غرضه ويؤثر بمنطقه
بمقما ولسنا يقول تيس عاصم المنقري :

خطباء حين يتوهم تائلهم
بيض الوجوه مصاقع لسن (60)

(54) المعلقة .

(55) الشعر والشعراء 1 / 139 .

(56) المختار ص 89 .

(57) حماسة 2 / 81 .

(58) مفضليات 1 / 91 .

(59) حماسة 1 / 318 .

(60) حماسة 2 / 201 .

(61) الديوان ص 90 .

(62) الديوان ص 38 .

(63) حماسة 2 / 281 .

(64) الديوان ص 14 .

(65) الديوان ص 85 .

(66) أصمعيات ص 61 .

ويسمى اضطراب الكلام وعدم صدقه هلهلة
يقول النابغة :

اتاك بقول هلهل النسج كاذب
ولم يأت بالحق الذى هو ناصح (67)

ويسمى تخطيط الكلام خطلا يقول زهير :
وذى خطل فى القول يحسب انه
مصيب فما يلهم به فهو قائله (68)

ويسمى العاجز عن المنطق السليم عيبا يقول حريث
بن عتاب النبها :

بنى ثعلب اهل الخنما حديثكم
لكم منطق عاو وللناس منطق (69)
كانكم معزى فواضع جرة
من العى او طير بخفاف ينفق

وقد يكون الكلام حوارا :

يقول النابغة :

غراء اكمل من يمشى على قدم
حسنا واملح من حاورته الكلم (70)

وقد يكون تهكما يقول ملح الجرمى :

اذا ما رمى اصحابه بجبينه
سرى الليلة الظلماء لم يتهم (71)

وقد يكون تفكما يقول امرؤ القيس :

يناكهننا سعد ويفدو لجمعنا (كذا)
بمثنى الزقاق المترعات وبالحرز (72)

وللعقل ملكات اخرى مثل التخيل .

يقول النابغة :

وحلت بيوتى فى يفاع ممنع
يخال به داعى الحولة طائرا (73)

ويقول سويد بن ابى كاهل اليشكرى :

هبيج الشوق خيال زائر
من حبيب خفر فيه قدع (74)
ويقول عمرو بن قميئة :

ناتك امامة الا سؤالا
والا خيالا يوانى خيالا (75)

ومن هذه الملكات التذكر يقول ذو الاصبع
العدوانى :

يا من لقلب شديد الهم محزون
امسى تذكر ربا ام هارون (76)

ويقول المرقش الاصفر :

صحا قلبه عنها على ان ذكره
اذا خطرت دارت به الارض قائما (77)

ويسمى امرؤ القيس التذكر الذكرات يقول :

اعنى على الهم والذكرات
بيتن على ذى الهم معنكرات (78)
وكما يكون التذكر يقظة قد يكون حلما يقول
النابغة :

بانت سعاد وامسى حلما انجذما
واحتلت الشرع فالاجزاع من اضما
احدى بلى وما هام الفؤاد بها
الا السفاه والا ذكرة حلما (79)

(67) المختار ص 83 .

(68) الديوان ص 35 .

(69) حماسة 2 / 159 .

(70) المختار ص 95 .

(71) حماسة 2 / 21 .

(72) الديوان ص 113 .

(73) المختار ص 100 .

(74) مفضليات 1 / 84 .

(75) اغانى 2 / 147 .

(76) مفضليات 1 / 68 .

(77) مفضليات 43 .

(78) المختار ص 95 .

(79) الديوان ص 92 .

وتتعرض الذاكرة للنسيان يقول امرؤ القيس :
ولم ينسنى ما قد لقيت طمأننا
وخملا لها كالقمر يوما مخدرا (80)
وقد يعبر عن النسيان بالذهول يقول ريان بن
سيار :
سلوت به عن كل من كان قبله
واذهلنى عن كل ما هو تابعه (81)
ومن ملكات العقل ايضا التفكير يقول عدى بن
زيد :

تفكر رب الخورنق اذ
اشرف يوما وللهدي فكر (82)
وقد راينا ان العقل بأسائه المختلفة يمدح
بالرجاحة والاناة والحزم والحلم ويذم بالسفاهة والخفة
والضعف كما يذم ايضا بالنقص . . يقول الشماخ :
دعوت الى ما نابنى فأجابنى
كريم من الفتيان غير مزلج (83)
مزلج = ناقص .
وقد يذهب العقل جملة فيصبح صاحبه مجنونا :
يقول عنتره :

ذكرت صبابتى من بعد حين
فعاد لى القديم من الجنون (84)

النفس :

راينا كيف استعمل بعض الشعراء النفس مكان
العقل حيث يقول دريد : فويل لمن ظن في نفسه . . ولكننا
سنلاحظ رغم ذلك ان النفس تتميز عندهم بمميزات
ذات طابع خاص بها .

فاولا ورد ذكر النفس المشغولة بأمورها في قول
الحسين بن حمام :

اذا الموت كان شجى بالحلق
ويادرت النفس اشغالها (85)
والنفس بمعنى الانسان جملة في قول عنتره :
ما استمت انشى نفسها في موطن
حتى أوقى مهرها مولاهما (86)
والنفس ذات الاهواء التى تلح في قضاء مطالبها
في قوله ايضا :

انى امرؤ سمح الخليقة ماجد
لا اتبع النفس اللجوج هواها (87)
وفي قول كعب بن سعد الغفوى ايضا :

حليم اذا ما سورة الجهل اطلقت
حبى الشيب للنفس اللجوج غلوب (88)
وسؤال النفس . يقول سلمة الجعفى :
اقول لنفسى في الخلاء الوها
لك الويل ما هذا التجلد والصبر (89)

وحاجات النفس يقول مالك بن عبد الله التجمى :
بنجح واما امر يأس مبين
سلوت به حاجات نفسى فاسمعا (90)
وقد عبر حاتم الطائى عن الحوار الذى يقع مع
النفس تعبيرا بالغ الاحكام في قوله :

اشاور نفسى الجود حتى تطيعنسى
واترك نفس البخل لا استثيرها (91)
وحديث النفس . في قول النابغة الذبياتى :
تالت له النفس انى لا ارى طمعا
وان مولاك لم يسلم ولم يصد (92)

- (80) الديوان ص 62 .
(81) أغانى 2 / 139 .
(82) أغانى 9 / 165 .
(83) حماسه 2 / 285 .
(84) الديوان ص 92 .
(85) أغانى 4 / 14 .
(86) الديوان ص 95 .
(87) الديوان ص 93 .
(88) اصبعيات ص 13 .
(89) حماسه 1 / 325 .
(90) وحشيات ص 10 .
(91) الديوان ص 27 .
(92) المعلقة .

وفي قوله أيضا :

- أحاديث نفس تشتكى ما يريها
وورد هموم لن يجدن مصادرا (93)
وريبة النفس وشكها فيما سبق وفي قوله أيضا :
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب (94)
وكرّب النفس وحديث هبها في قول عدى بن زيد :
تاعدا يكرب نفسي بثها
وحراما كان سجنى واحتضارى (95)
وصبر النفس في قول عبيد بن الأبرص :
مبّر النفس عند كل ملّة
ان في الصبر حيلة المحتال (96)
وسكون النفس في قول النابغة :
نسكت نفسي بعد ما طار روحها
والبستى نعمى ولست بشاهد (97)
ومواساة النفس في قول عروة :
وآست نفسها وطبوت حشاها
على الماء القراح مع الليل (98)
ومرض النفس يقول المرار بن المنقذ :
نهو لا يبرا ما في نفسه
مثل ما لا يبرا العرق النمر (99)
وشفاء النفس في قول عنتره :
شفى النفس منى أودنا من شفائها
ترد بهم من حلق متصوب (100)

وسلو النفس في قول المرتضى الأصغر :

- إذا تلت تسلو النفس أو تنتهى المنى
أبى القلب إلا حب أم حكيم (101)
وهم النفس في قول المرتضى الأكبر :
واسماءهم النفس ان كتبت عالما
وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه (102)
وذكر النفس في قوله أيضا :
إذا ذكرتها النفس ظلت كائننى
يزعزنى تقفاف ورد وصالبه (103)
ويلاحظ أنه استعمل التذكّر للنفس وسنرى أنه
يستعمل مع القلب أيضا : ورشد النفس وعيها في قول
عمر بن قميّلة :
لمرك ما نفسى بجسد رشيدة
تؤامرنى سوءا لأمرم مرتدا (104)
وجزع النفس في قول أوس بن حجر :
أيها النفس أجملى جزعا
ان الذى تحذرين قد وقعا (105)
وفي قول عبيد بن الأبرص :
ربما تجزع النفوس من الأمر
له فرجة كحل العقال (106)
وزلزال النفس أى اضطرابها العنيف في قول
الحصين بن حمام :
أعوذ بربى من المخزيات
يوم ترى النفس زلزالها (107)

- (93) المختار من 98 .
(94) المختار من 101 .
(95) أغاني 2 / 114 .
(96) الديوان من 36 .
(97) المختار من 134 .
(98) الديوان من 63 .
(99) مفضليات من 16 .
(100) الديوان من 15 .
(101) أغاني 6 / 40 .
(102) أغاني 6 / 124 .
(103) أغاني 6 / 134 .
(104) أغاني 18 / 78 .
(105) أغاني 11 / 74 .
(106) الديوان من 36 .
(107) أغاني 14 / 15 .

ومشاغل النفس في قوله أيضا :

إذا الموت كان شجى بالخلوق
وبادرت النفس اشغالها (108)

ومعاناة النفس للموت في قوله أيضا :

فلم يبق من ذاك الا التقى
ونفس تمالج آجالها (109)

ورجاء النفس في قول عدى :

ماذا ترجى النفوس من طلب الـ

خير وحب الحياة كاربها (110)

ورضا النفس في قول كعب بن سعد الغفوى :

نلو كانت الدنيا تباع اشتريته
بها اذ به كان النفوس تطيب (111)

وعزة النفس الابية في قول عنتره :

انا العبد الذى بديار عيس
ريبت بمزة النفس الابية (112)

وهمة النفس القوية في قول النابغة الذبياني :

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما (113)

وخلق النفوس وامانتها في قول عنتره :

حرمصت على طول البقاء وانما
مبدي النفوس ابادها ليعيدها (114)

وتسمى النفس في علاقتها بالجسد روحا يقول

امرؤ القيس :

ليت شمعى ولليت نبوة

اين صار الروح اذ بان الجسد (115)

ويقول النابغة :

نسكت نفسى بمد ما طار روحها
والبستنى نعى ولست بشاهد (116)

وقد جعلوا الكبد رمزا لحالة الالم الشديد التى
تعانى منه النفس وجعلوه رمزا كذلك للحقد الشديد
او الحزن الشديد . يقول النابغة :

الا بمقالة اقوام شقيت بها
كانت مقالتهم فرعا على الكبد (117)

ويقول عنتره :

فبالله يا ريح الحجاز تنفسى
على كبد حرى تغوب من الوجد (118)

ويقول قيس بن الخطيم :

انا ولو ظنوا الذى عسلوا
اكبادنا من ورائهم تجف (119)

وقد جعلوا الضمير رمزا لما تضرره النفس من
سرما او امرها .. يقول حاتم الطائي :

متى ترنى امشى بسيفى وسطها
تخفى وتضمير بينها ان تجزرا (120)

ويقول أيضا :

فانى جبان الكلب بيتى موطا
اجود اذا ما النفس شح ضميرها (121)

ويقول امرؤ القيس :

ذكرت بها الحى الجميع نهيجت
عقابيل سقم من ضمير واشجان (122)

(108) وحشيات من 23 .

(109) أغاني 14 / 15 .

(110) وحشيات من 23 .

(111) جبهة من 130 .

(112) الديوان من 65 .

(113) الديوان من 27 .

(114) الديوان من 35 .

(115) الديوان من 217 .

(116) مختار من 134 .

(117) المعلقة .

(118) الديوان من 33 .

(119) اسمعيات من 46 .

(120) الديوان من 15 .

(121) الديوان من 27 .

(122) الديوان من 89 .

ويقول يزيد بن الخدّاق :

نمان انك خائن خدع

يخنى ضميرك غير ما ييدى (123)

القلب :

وكما لاحظنا مشاركة النفس للعقل في جوانب وتميزها عنه في جوانب أخرى نلاحظ أيضا أن القلب يشارك العقل في جوانب كما مر في قول الشاعر قلب جلا عنه الشكوك وفي قول غيره قلب .. تذكر وفي قول ذى الاصبع :

وطالب حوب باللسان وقلبه

سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع (124)

الا ان للقلب رغم ذلك دائرة يتخصص فيها بالعقل وهو في هذه الدائرة الى النفس اقرب الا أنه ينفرد دونها رغم ذلك في دائرة خاصة هي دائرة الرمز العضوى لما يعمتل في النفس ذاتها .

فالقلب يشارك النفس الهواجس يقول عنتره :

خرجت الى القرم الكمى مبادرا

وقد هجست في القلب منى هواجس (125)

ويشاركها في الهم بمعنى الحزن وفي التفكير أيضا

يقول ذى الاصبع :

يامن لقلب شديد الهم محزون

امسى تذكره ربا أم هارون (126)

ويشاركها في السلو والبث والشكوى يقول عنتره :

سلا القلب عما كان يهوى ويطلب

واصبح لا يشكو ولا يتعتب (127)

وفي الفزع أو الروع يقول النابغة :

نزيع قلبى وكانت نظرة عرضت

حينما وتوفيق اقدار لاقدار (128)

ويشاركها في الاهواء يقول دريد ابن الصمة :

هل مثل قلبك في الاهواء معذور

والشيب بعد شباب المرء مقدور (129)

ولا يمكن تمييز القلب عن النفس في دائرة المشاعر

والانفعالات والمواطف على اتساعها مما يوحى بانهما

بدلان على شىء واحد ، وحين يتخصص القلب عن

النفس لا يتخصص الا في دائرة رمزية لان القلب بمعناه

العضوى قد استخدم للتعبير عن الانفعالات من ناحية

الدرجة شدة وضعفا عمقا أو سطحية .. وهكذا ،،،

اى أن القلب يرمز بوظائفه العضوية من اضطراب

وخفتان الى المشاعر والاحاسيس التى تعمتل في

النفس ولذلك نجد كثيرا أن القلب يرد مقرونا بوصف

عضوى يدل على درجة الانفعال أو العاطفة مثل

الخفتان كالرعد ..

يقول عنتره :

وكيف يحل الذل قلبى وصارمى

اذا اهتز قلب الضد يخفق كالرعد (130)

أو الصلابة كالجبل يقول عنتره أيضا :

يخبرك بدر بن عمر اننى بطل

القى الجيوش بقلب قد من جبل (131)

وكالحديد يقول عنتره أيضا :

ساخرج للبراز خلى بال

بقلب قد من زبر الحديد (132)

أو التقلب يقول عنتره :

محا بعد سكر وانتخى بعد ذلة

وقلب الذى يهوى الملا يتقلب (133)

فيالك من قلب توقد نى الحشى

ويسالك من دمع غزير له مد (134)

(123) مفضليات ص 296 .

(124) أغانى 3 / 101 .

(125) الديوان ص 46 .

(126) مفضليات ص 161 .

(127) الديوان ص 15 .

(128) المعلقة .

(129) أغانى 3 / 104 .

(130) الديوان ص 32 .

(131) الديوان ص 18 .

(132) الديوان ص 36 .

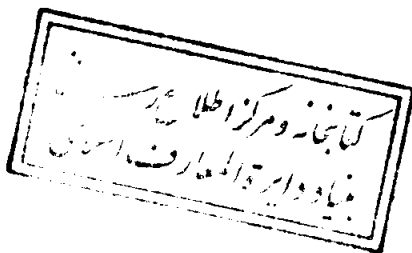
(133) الديوان ص 15 .

(134) الديوان ص 34 .

ويسلو ، ويشك ، ويتوجس ، ويحزن .. الخ
يقول النابغة :
لولا حبائل من نعم علقت بها
لاقمصر القلب عنها أى اقصر
فان انفاق لقد طالت عيائته
والمرء يخلق طورا بعد اطوار
فريع قلبى وكانت نظيرة عرضت
حينما وتوفيق اقدار لاقدار (141)
ويقول عنتره :
وما شاق قلبى فى الدجى غير طائر
ينوح على غصن رطيب من الرند (142)
ويقول : انى انا ليث العرين ومن له
قلب الجبان محير مدهوش (143)
ويقول : باعبل كم تنفق غريان الفلا
تد مل قلبى فى الدجى سباعها (144)
ويقول :
وحين الى الحجاز القلب منى
فهاج غرامه بعد السكون (145)
ويقول :
سلا القلب عما كان يهوى ويطلب
وامصبح لا يشكو ولا يتمتع (146)
ويقول :
خرجت الى القرم الكى مباردا
وقد هجست فى القلب منى هواجس (147)
ويقول عروة بن الورد :
وقلب جلا عنه الشكوك فان تشأ
يخبرك ظهر الغيب ما انت فاعل (148)

وهو الجوى ايضا يقول عنتره :
اماتب دهرنا لا يلين لناصح
واخفى الجوى فى القلب والدمع فاضى (135)
وهو اللامع المتوهج يقول عنتره :
اشاتك من عبل الخيال المبرح
نقلبك فيه لامع يتوهج (136)
ومن ذلك الضيق (الحمر) يقول قيس بن
الخطيم :
ازممت عمرة صرما فابتكر
انما يدهن للقلب الحمر (137)
ولان القلب هو المكان الذى يرمز بحركته لحالة
الماطلة قالوا عنه موطن الرعب يقول قيس بن الخطيم :
اعطى ذوو الاموال مسرهم
والضاريين بموطن الرعب (138)
بل انهم عبروا بالشفاف وهو الغشاء الذى يحيط
بالقلب عن القلب نفسه لتأكيد الدلالة المكانية يقول
النابغة :
وقد حال هم دون ذلك شاغل
مكان الشفاف تبتفيه الاصابع (139)
وجعلوا الالم المصاحب لبعض الانفعالات كالجراح
التي تصيب القلب يقول المرتضى الاصفر :
ولكنه زور يستعبط نائبا
ويحدث اشجانا بقلبك تجرح (140)
ولاجل ذلك شخصوا القلب وجعلوا منه (شخصا)
يقصر (يمتنع) ويفيق ويعمى ويتمتع ، ويسرعوى
(يرجع) ويشتاق ، ويتحير ويدهش ، ويميل ويحن ،

- (135) الديوان من 31 .
(136) الديوان من 19 .
(137) أغاني 3 / 15 .
(138) أغاني 3 / 18 .
(139) المختار من 62 .
(140) مفضليات من 242 .
(141) المعلقة .
(142) الديوان من 33 .
(143) الديوان من 47 .
(144) الديوان من 50 .
(145) الديوان من 91 .
(146) الديوان من 15 .
(147) الديوان من 46 .
(148) الديوان من 209 .



ويقول ذو الاصبع العدواني :

يا من لقلب شديد الهم محزون
أمسى تفكر ريا أم هارون (149)

ويقول عدى بن زيد :

نار عوى قلبه وقال لما غبطة
حس السى المسات يصير (150)

ويقول امرؤ القيس :

نبت أكابد ليل التما
م والقلب من خشيه متشعر (151)

ويقول عنتره :

غلا تحسبى أنسى على البعد نادم
ولا القلب في نار الفرام يهذب (152)

وقد رمزوا رمزا مكتابا للقلب بالمصدر ..

يقول النابغة :

ومدر أراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب (153)

ويقول عبدة الطيب :

ان الذين ترونها هم اخوانكم
يشفى غليل صدورهم ان تصرعوا (154)

ورمزوا له ايضا بالفؤاد وكما يستعمل الفؤاد اسما
للقلب يستعمل للدلالة على أعماقه الداخلية وعلى شدة
تأثر القلب بالشيء او شدة تعلقه به ..

يقول عبدة الطيب :

حيران لا يشفى غليل فؤاده
عسل بهاء نى الاتاء مشمشع (155)

ويقول حاتم الطائي :

ينام الضحى حتى اذا ليله استوى
تنبه مثلوج الفؤاد موزما (156)

ويقول طرفة :

ان امسروا سرى الفؤاد يرى
عسلا بهاء سحابة شتى (157)

ويقول النابغة :

أبى غفلتى انى اذا ما ذكرته
تحرك داء في فؤادى ناخيل (158)

ويقول سويد بن أبى كاهل اليشكري :

أرق العين خيال لم يدع
من سليبي فؤادى منتزع (159)

ويقول عنتره :

شككت فؤاده لما تولى
بصدر متقف ماضى البنان (160)

ويقول عنتره :

ويح هذا الزمان كيف رملى
بسهم صابت صميم فؤادى (161)

ويقول ايضا :

ونحن الموتدون لكل حرب
ونصلاها بفؤدة جرية (162)

ويقول عروة بن الورد :

ويلقى ذا الفنسى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير (163)

(149) مفضليات 1 / 18 .

(150) مفضليات 2 / 9 .

(151) الديوان ص 158 .

(152) الديوان ص 15 .

(153) المختار ص 85 .

(154) مفضليات 1 / 62 .

(155) مفضليات 1 / 62 .

(156) الديوان ص 25 .

(157) المختار ص 257 .

(158) المختار ص 122 .

(159) مفضليات 1 / 86 .

(160) الديوان ص 91 .

(161) الديوان ص 34 .

(162) الديوان ص 95 .

(163) الديوان ص 199 .

ويقول أيضا :

تألت تهاضر اذ رأيت مالى خوى
وجفا الاثارب بالفضاد قريح (164)

ويسمى القلب الجنان أيضا يقول عنقرة :

وقفت به والشوق يكتب أسطرا
بأقلام ديمى فى رسوم جناتى (165)

ويقول عنقرة :

أعبلت لوسالت الريح عنى
أجابك وهو منطلق اللسان
بانى قد طرقت ديار تيسم
بكل غنضغر ثبت الجنان (166)

الارادات ،، الطبائع ،، المواطف ،، الانفعالات ،،
المشاعر ،، الاحاسيس :

لقد مر ذكر العقل أو النفس أو القلب أو الفؤاد
فى حالة تلبس بارادة أو عاطفة أو انفعال .. الخ .
ونريد أن نتبع هذه الملكات أو الحالات بصورة أكثر
شمولا وتصيلا حتى تتضح صورة العمليات النفسية
كما تصورهما العرب فى مختلف أبعادها ولا نريد أن
نستقصى البحث فى هذا المجال لانه واسع ومتشعب
وليس من هدف هذا البحث عمل معجم نفسى كامل
للمعجم القديم وانما نريد أن نرسم صورة تقريبية لهذا
المعجم لننبه الى ضرورة إجراء دراسة شاملة مستفيضة
فى هذا الباب للتدليل على ما نحن بصدد من دقة
ملاحظة العرب لكل ما وقع تحت تصرفهم من ظواهر
وساكنى من هذه الظواهر بمأله طبيعة
نفسية خالصة ، وسأترك ما له ارتباط
بالاخلاق والسلوك من شجاعة وجبن وكرم وبخل ووفاء
وخيانة وعفة وفجور وحسد .. الخ لانها ستدرس
فى باب الاخلاق .

(الارادة) يقول عنقرة :

أريد من الأيام مالا يضرها
فهل دافع عنى نوائبها الجهد (167)

وهى (المشيئة) يقول امرؤ القيس :

ولو شاء كان الغزو من أرض حمير
ولكنه عدا الى الروم انفرا (168)

ويقول طرفة :

وان شئت لم ترقب وان شئت ارتقت
مخافة ملوئى من القد محمدا
وان شئت سامى واسط الكور رأسها
وعامت بضبيعتها نجاء الخبيد (169)

وأداتها (السمى والطلب) يقول امرؤ القيس :

فلو أن ما اسمى لاندنى معيشة
ككأتى ولم اطلب قليل من المال (170)

وهى الهم (بمعنى الهمة) يقول امرؤ القيس :

هم سيلفقه التمام فذا
ظنى به سينال أو تبلى (171)

ويقول طرفة :

وانى لامضى الهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتفتدى (172)

وصاحب الهمة القوية هو الهمام يقول امرؤ
القيس :

أصد شامس ذى القرنين حتى
تولى مارض الملك الهمام (173)

وهى (العزم) يقول امرؤ القيس بن عابس الكندى :

أعيث جسدو بنى لأع منلوئهم
حزما وعزما وعزأ غير تمخير (174)

(164) الديوان من 191 .

(165) الديوان من 87 .

(166) الديوان من 91 .

(167) الديوان من 29 .

(168) الديوان من 65 .

(169) المعلقة .

(170) الديوان من 39 .

(171) الديوان من 205 .

(172) المعلقة .

(173) الديوان من 140 .

(174) وحشيتك من 260 .

ويسمى تحقيق الإرادة (ادراكا) يقول امرؤ القيس :

خلو ان ما اسمى لادننى معيشة
ككلى ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسمى لجد مؤئل
وقد يدرك المجد المؤئل أمثالى (175)

(الحب) وهو متنوع منه حب المرأة يقول عنتره :
ولقد نزلت فلا تظننى غير
منى بمنزلة المحب المكرم (176)

وحب الامجاد والمكارم يقول ايضا :
فلا تطلب لا يسل غليله
وصال ولا يلهيه من حله عقد
يكلفنى ان اطلب المز بالقنا
واين الملا ان لم يساعدى الجد
احب كما يهواه رضى وصارمى
وسابقة زغف وسابقة نهد (177)

وحب الحياة يقول عدى بن زيد :
ماذا ترجى النفوس من طلب الخير
وحب الحياة كارسها (178)

والحب هو (العشق) وهو متنوع ايضا منه
عشق المرأة : يقول عنتره :

نشاطير الاراك بحق رب
يراك عماك تعلم اين حلوا
وتطلق عاشقا من اسرقوم
له في حبهم اسر وغل (179)

ويقول ايضا :

شطت مزار العاشقين فاصبحت
عسرا على طلاك ابنة محزم (180)
والعشق بمعنى عام يقول عنتره :

واننى اعشق السر الموالى
وغيرى بعشق البيض الرشاقا (181)
و (الهوى) هو الحب وهو مثله عام منه هوى
الحبيب . يقول عنتره :

سلا القلب عما كان هوى ويطلب
واصبح لا يشكو ولا يتمتب (182)
ويقول ايضا :

الا قاتل الله الهوى كم بسيفه
قتيل غرام لا يوسد فى اللحد (183)
والهوى بمعنى عام يقول عنتره :
محا بمد سكر وانتخى بمد ذله
وقلب الذى يهو الملا يتقلب (184)
والحب هو (الغرام) يقول عنتره :

وحن الى الحجاز القلب منى
فهاج غرامه بمد السكون (185)
ويمصاحب الحب والعشق والهوى والغرام مشاعر
وانفعالات مثل (الشوق) يقول عنتره :

اعبلة زاد شوقى وما
ارى الدهر يدنى الى الاحبة (186)
و (الوجد) يقول عنتره :

نمالت بى الاهواء حتى كاتمها
يزندين فى جوفى من الوجد قادح (187)

(175) الديوان من 39 .

(176) المعلقة .

(177) الديوان من 29 .

(178) اغانى 2 / 140 .

(179) الديوان من 63 .

(180) المعلقة .

(181) الديوان من 57 .

(182) الديوان من 13 .

(183) الديوان من 33 .

(184) الديوان من 15 .

(185) الديوان من 92 .

(186) الديوان من 100 .

(187) الديوان من 20 .

و ضد الحب (الكره) وهو عام يقول اوس
ابن حجر :

ايها النفس اجبلى جزعا
ان الذى تحذرسن قد وقعا (196)
ويقول ذو الاصبع المدوانى :

لا يخرج الكره منى غير مايبه
ولا الين لمن لا يبتغى لينى (197)
وهو (البغض والشئان والشحناء) يقول ذو
الاصبع المدوانى :

فمن ساجلهم حريبا
ففى الخيبة والخفض (198)
وهم نالوا على الشئنا
ن والشحناء والبغض
ومنه (السخط) يقول عدى :
ويقول المعداة اودى عدى
وعدى بسخط رب اسير (199)
ومنه (الجفا) يقول عنقرة :

وامبر للحبيب وقد جفائى
ولم اترك هواه ولست اسلو (200)
والكره الشديد هو الضغن يقول زهير :
كرام فلا ذو الضمن يدرك تبلىه
لديهم ولا الجانى عليهم بمسلم (201)

* *

(الحزن) يقول افسون :
كفى حزنا ان يرحل الحى غدوة
وامصبح فى اعلى الالهة ثاويا (202)

و (الجوى) يقول عنقرة :

اعتب دهرنا لا يلين لناصح
واخفى الجوى فى القلب والدمع فاضى (188)
و (الشجن) يقول المرتضى الاصفر :
ولكنه زور يوقظ نائما
ويحدث اشجانا بقلبك تجرح (199)
و (الصبابة) يقول عنقرة :

ذكرت صبابتى من بعد حين
فعاد لى القديم من الجنون (190)
و (الحنين) يقول عنقرة :

وحن الى الحجاز القلب منى
فهاج غرامه بعد السكون (191)
و (اللوعة) يقول عنقرة :

وهى تذرى من خيفة البعد دما
مستهلا بلوعة وسهاد (192)
و (الهيام) يقول عنقرة :

اسائله عن عبلة فاجابنى
غراب به ما بى من الهيمان (193)
و (الوله) يقول عنقرة :

يساطئرا قد بات ينسحب الفه
وينوح وهو موله حيران (194)
و (الغزل) يقول عنقرة :

من لى برد الصبا واللهم والغزل
هيئات ما فات من أيامك الاول (195)

* *

-
- (188) الديوان من 21 .
(189) مفضليات 2 / 22 .
(190) الديوان من 9 .
(191) الديوان من 91 .
(192) الديوان من 32 .
(193) الديوان من 87 .
(194) الديوان من 88 .
(195) الديوان من 87 .
(196) اغاتى 11 / 74 .
(197) مفضليات من 161 .
(198) اغاتى 3 / 10 .
(199) اغاتى 3 / 15 .
(200) الديوان من 64 .
(201) معلقة .
(202) مفضليات من 261 .

واذا اشتد فهو (الكمد) يقول امرؤ القيس :

من هنالى من صديق فليمد
ليعدننى اننى اليوم كمد (203)
فاذا استطلال فهو (الهم) يقول النابغة :
كلينى لهم يا اميمة ناصب
وليل اقساه بطيء الكواكب (204)
ومن انفعالاته (الضيق) يقول عبيد :

لا تخيطننى فى الامور فقد
تكشف غاؤها نمير احتيال (205)
و (الاسف) يقول عبيد :
فان يك فاننى اسفا شيبابى
واضحى الراس منى كاللجين (206)
و (الحسرة) يقول عنتر :

الا نلسمش جارى عزيزا وينثنى
عدوى ذليلا نادما يتحسر (207)
ومن مظاهر (البكاء) يقول امرؤ القيس :
بكى صاحبي لما راي الدرب دونه
وايقن اننا لاحقان بقيصرا (208)
و (النواح) يقول عنتر :

ونوحى على من مات ظلما ولم ينل
سوى البعد عن احبابه والفجائع (209)
والنحيب يقول عنتر :
نقلت له وقد ابدى نحيبا
دع الشكوى فحالك غير حالى (210)

و (المويل) يقول عنتر :

وكم أبكى على الف شجائى
وما يغنى البكاء ولا المويل (211)
و (التفجع) يقول ذو الاصبع المدوانى :
اودعتانى فلم اجب ولقد
يامن منى خليلى انفجما (212)

* *

وضد الحزن (الفرح والبهجة) يقول النابغة :
وان يرجع النعمان تفرح وتبتهج
ويأت معدا ملكها وريمها (213)
و (الغبطة) يقول امرؤ القيس :
ناعم فى اهلـه ذو غبطة
ومناس عيش سوء فى كبد (214)
و (البشر) يقول علقمة :

تباشروا بمد ما طال الوجيف بهم
بالمصبح لما بدت منه تباشير (215)
والطرب يقول علقمة :

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعميد الشباب عصر حان شيب (216)
و (الخبور) يقول زهير :

فامصبح محبورا ينظر حوله
تغبطه لو ان ذلك دائم (217)

- (203) الديوان من 266 .
(204) الديوان من 9 .
(205) الديوان من 36 .
(206) الديوان من 16 .
(207) الديوان من 40 .
(208) الديوان من 65 .
(209) الديوان من 48 .
(210) الديوان من 20 .
(211) الديوان من 9 ج 1 .
(212) أغاني 5/3 .
(213) مختار من 18 .
(214) الديوان من 218 .
(215) مختار من 336 .
(216) مختار من 319 .
(217) الديوان من 341 .

ومن مظاهره (الضحك) يقول عنقرة :

تري بطلا يلقي الفوارس ضاحكا
ويرجع عنهم وهو أشعث أغبر (218)

و (الابتسام) يقول عنقرة :

دار لانساة غضبى طرفها
طوع العناق لذیذة المتبسم (219)
و (النشوة) يقول زهير :

وقد اغدو على ثبة كرام
نشاوى واجدين لما نشاء (220)
و (السعادة) يقول عنقرة :

حلت من السعادة ملى مكان
رفيع القدر منقطع القرين (221)
ومن الانفعالات الخوف والارعاد يقول امرؤ القيس:
غيشرين أنفاسا وهن خوائف
وترعد منهن الكلى والفرائص (222)
وقد يشتد فيصبح (جزعا وهلما) يقول عمرو
ابن معدى يكرب :

ما إن جزعت ولا هلمت
ولا يرد بكأى زندا (223)
و (ترويعا ورعبا) يقول عنقرة :
ولو أن للموت شخصا يسرى
لروعته وكثرت رعبه (224)

و (رهبة) يقول عنقرة :
لولا الذى ترهب الانلاك قدرته
جعلت متن جوادى قبة الفلك (225)

ومن مظاهره (الاضطراب والكرب) يقول عنقرة :

ومكروب كشفت الكرب عنه
بطمنة فيصل لما دعائى (226)

ومن انواع الخوف (الخشية) يقول النابغة :
وعيرتنى بنو ذبيان خشيتيه
وهل على بان اخشاه من عار (227)
و (الاشفاق) يقول عنقرة :

ونحن العادلون اذا حكمنا
ونحن المشفقون على الرعية (228)
و (الذعر) يقول امرؤ القيس :

وقد اذعر الوحش اليرباع بقفزة
وقد اجتلى بيض الخدود الرواقا (229)
وهذه طائفة من الحالات العقلية والنفسية
نمرضها دون ترتيب او تبويب :

(اللهو) يقول عنقرة :
من لى برد الصبا واللهو والفزل
هيهات ما فات من ايامك الاول (230)

(الادب) يقول عنقرة :
لقد ثنائى النهى عنها وادبنى
فلمست أبكى على رسم ولا طلل (230)

(التجبر) يقول عنقرة :
ونبهم كل جبار عنيف
شديد البأس مفتول السبال (231)

(218) الديوان من 4 .

(219) المعلقة .

(220) الديوان من 92 .

(221) الديوان من 70 .

(222) حماسة 1 / 42 .

(223) الديوان من 110 .

(224) الديوان من 58 .

(225) الديوان من 9 .

(226) مختار من 104 .

(227) الديوان من 95 .

(228) الديوان من 196 .

(229) الديوان من 67 .

(230) الديوان من 27 .

(231) الديوان من 72 .

(الرحمة وضدها) يقول عنقرة :

واطمع من دهرى بما لا اتاله
والزم منه ذل من ليس يرحم (232)

(الاجلال) يقول امرؤ القيس :

وغائط قد قطعت وحدى
للقلب من خوفه اجلال (233)

(التنبه) يقول المرتضى الاصفر :

فلما تبيننت الخيال فراعنى
اذا هو رحلى والبلاد توضح (234)

(الشماتة) يقول الشنقرى الازدى :

وياضمة حمر القسي بعثتها
ومن يفرز يغتم مرة ويشمت (235)

(الصباح) يقول النابغة :

توم اذا كثر الصباح رايتهم
وقرا غداة الروع والافار (236)

(الخجل) يقول عنقرة :

يا مخجلا نوء السماء بجوده
يا منتذ الحزون من احزانه (237)

(الهروب) يقول عنقرة :

واخر هارب من هول شخصى
وقد اجرى بسوع المقلتين (238)

(المكر) يقول يزيد بن الحذاق :

ومكرت بمثلها ومختننا
والمكر منك علامة العمد (239)

(الرجاء) يقول الحارث بن حلزة :

لا يرتجى للبال يهلكه
سعد النجوم السيه كالنحس (240)

(الندم) يقول ثابت شرا :

لتقرعن على السن من ندم
اذا تذكرت يوما بعض اخلاقى (241)

(الشهوة) يقول كعب بن سعد الغنوى :

ومن لا يبيل حتى يسد خلاله
يجد شهوات النفس غير قليل (242)

(الامل) يقول امرؤ القيس :

من كان يأمل عسر دارى من
اهل الاود بها وذى النحل (243)

و (البأس) يقول النابغة :

اخلاق مجدك جلت ما لها خطر
فى البأس والجود بين العلم والخبر (244)

(الخيلاء) يقول النابغة :

ولا تذهب بظلمك طاميات
من الخيلاء ليس لهن باب (245)

(الدل والدلال) يقول زهير بن ابي سلمى :

ووركن فى السويان يعلون مثله
عليهن دل الناعم المتنعم (246)

(المعقوق) يقول زهير :

فاصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومائم (247)

(232) الديوان ص 72

(233) الديوان ص 190

(234) مفضليات 2 / 29

(235) مفضليات ص 110

(236) الديوان ص 44

(237) الديوان ص 85

(238) الديوان ص 86

(239) مفضليات ص 296

(240) مفضليات ص 134

(241) مفضليات 1 / 4

(242) اصمعيات ص 61

(243) مختار ص 331

(244) الديوان ص 47

(245) الديوان ص 18

(246) المعلقة

(247) المعلقة

(السام) يقول زهير :

مورث المجد لا يفتال همته
عن الرياسة لا عجز ولا سام (248)

(الخزى) يقول زهير :

كالهندوانى لا يخزيك مشهده
وسط السيوف اذا ما تضرب اليهم (249)

(الحذب) يقول زهير :

حذب على المولى الضريك اذا
نابت عليه نوائب الدهر (250)

(الرضا .. طيب النفس) يقول زهير :

لا شيء أسرع منها وهى طيبة
نفسا بما سوف ينجيها وتترك (251)

(الذكاء) يقول زهير :

ينضله اذا اجتهدا عليه
تمام السن منه والذكاء (252)

(الغفلة) يقول زهير :

فليس بماتل عنها مضيع
رعيته اذا غفل الرعاء (253)

(الختل .. الخداع) يقول زهير :

فقال اميرى ما ترى رأى ما نرى
اختله عن نفسه ام ناوله (254)

(الطمأنينة) يقول زهير :

ونضربه حتى اطمأن قذالعه
ولم يطمئن قلبه وخمائله (255)

(القلق) يقول امرؤ القيس :

وليشل اسباب علقته بها
يمنعن من قلق ومن ازل (256)

(الدهش) يقول زهير :

يطيب له او اقتراض بسيفه
على دهش من عارض متوقد (257)

(الريبة) يقول عبيد بن الابرص :

واغفر للمولى هناة ترينى
فاظلمه ما لم يتلنى بمحتدى
(الديوان ص 27)

(واللهفة) يقول عبيد :

دعا معاشر فاستكت سامهم
يا لهف نفسى لو تدعو بنى اسد
(الديوان ص 28)

(الخية) يقول ذو الاصبع المدوانى :

من ساجلهم حريا
نفسى الخيبة والخفض
(الديوان ص 205)

(العجب) يقول ذو الاصبع :

فليس فيما اصابنى عجب
اذ كنت شيئا اتكرت او صلبا
(الديوان ص 95)

(الغضب) يقول النابغة :

فما ان كان من نسب بعيد
ولكن ادركوك وهم غضاب (258)

(التننى) يقول النابغة :

ويرجع الى غسان ملك وسؤدد
وتلك المنى لو اتنا نستطيعها (259)

(248) الديوان ص 59 .

(249) الديوان ص 55 .

(250) الديوان ص 62 .

(251) الديوان ص 44 .

(252) الديوان ص 70 .

(253) الديوان ص 51 .

(254) الديوان ص 27 .

(255) الديوان ص 28 .

(256) الديوان ص 205 .

(257) الديوان ص 95 .

(258) مختار ص 120 .

(259) مختار ص 148 .

(الحلم ، الجهل ، اللجاجة) يقول كعب
ابن سعد الغنوى :

حليم اذا ما سورة الجهل اطلقت
حبس الشيب للنفس اللجوج غلوب (260)

(الذهول) يقول زيان بن سيار :
سلوت به عن كل ما كان قبله
واذهلنى عن كل ما هو تابعه (261)

(العبوس) يقول المرتضى الاكبر :
ضحوك اذا ما الصحب لم يجتوا له
ولا هو مضباب على الزاد عابس (262)

(الخداع) يقول امرؤ القيس :
يخدع الجلسد ويودى جهرة
ويقود الموت للحين الاسد (263)

(الحياء) يقول عنتره :
فانتني حياءك لا ابالك واعلمى
انى امرؤ ساموت ان لم اقتل (264)

(الطمع) يقول عنتره :
يا طامعا في هلاكى عد بلا طمع
ولا ترد كاس حتف انت شاربه (265)

(الحقد) يقول عنتره :
لا يحمل الحقد من تلوه به الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب (266)

(الفرور) يقول عنتره :

اليوم تعلم يا نعمان اى فتى
يلقى اخاك الذى قد غره الغضب (267)

(الجلد والتجلد) يقول عنتره :
في ابين المالين درس معالم
او هي جلدى وبان تجلدى (268)

(الصبر) يقول عنتره :
انا الموت الا ائنى غير صابر
على انفس الابطال والموت يصبر (269)

(الزهو والفخر) يقول عنتره :
سوادى بياض حين تبدو شمائلى
ونطلى على الانساب يزهو ويفخر (270)

(الاختشاء) يقول عنتره :
ولا تخشوا مما يقدر نى غد
فما جاعنا من عالم الغيب مخبر (276)

(الحريرة) يقول عنتره :
انى انا ليث الميرين ومن له
قلب الجبان محير مدهوش (272)

(الملل) يقول عنتره :
يا عبل كم تنمق غريان الفلا
قد مل قلبى فى الدجى سماعها (273)

(الرياء) يقول عنتره :
طفائى بالرياء والمكر عمى
وجار على فى طلب المداق (274)

(260) اصبعيات من 12 .

(261) وحشيات من 175 .

(262) مفضليات 2 / 12 .

(263) الديوان من 217 .

(264) الديوان من 18 .

(265) الديوان من 11 .

(266) الديوان من 21 .

(267) الديوان من 21 .

(268) الديوان من 32 .

(269) الديوان من 40 .

(270) الديوان من 41 .

(271) الديوان من 40 .

(272) الديوان من 47 .

(273) الديوان من 20 .

(274) الديوان من 50 .

(الخفر) يقول عنقرة :
 وكواعب مثل الدمى احببتها
 ينظرون في خفر وحش دلال — 284
 (الضيم ... القهر) يقول عنقرة :
 قومي صمام لمن ارادوا ضيهم
 والقاهرون لكل اغلب صال — 285
 (التعفف) يقول عنقرة :
 يخبر من شهد الوقيمة اننى
 اغشى الوعى واغف عند المغنم — 286
 (الجوع) يقول عروة بن الورد :
 فجع لاهلى الصالحين مزلة
 فخوف رداها ان تصيك فاحذر — 287
 (الشبح) يقول عروة :
 وربت شيمة آثرت فيها
 بدا جاءت تغير لها هيت — 288
 (العطش والرى) يقول عروة :
 وانى لا يرينى البخل راي
 سواء ان عطشت وان رويت — 289
 (التدبر) يقول عروة :
 ولا وابيك لو كاليوم امرى
 ومن لك بالتدبر فى الامور — 290
 (الحنان) يقول امرؤ القيس :
 وينحها بنو شجى بن جرم
 ميمزهم حناتك ذا الحنان — 291
 هذا قاموس تقريبي للعقل والنفس وسائر الملكات
 الانسانية من واقع الشعر القديم (الجاهلى) وهو
 قاموس — كما سبق القول — لم تستوف كل تفاصيله

(النفاق) يقول عنقرة :
 نعمت وقد علمت بان عمى
 طغاني بالمحال وبالنفاق (275)
 (واللذة) يقول عنقرة :
 وكاسات الاسنة لى شراب
 الذبه امطباحا واغتيقا (276)
 (الاغراء) يقول عنقرة :
 هلا سالت الخيل يا ابنة مالك
 ان كان بعض عداك عن اغراك (277)
 (الحذر) يقول النابغة :
 حذار على الانتال مقادتنى
 ولا نسوتى حتى يمتن حرانرا (278)
 (الغناء) يقول عنقرة :
 وقد غنى على الاغصان طير
 بصوت كفيه يشفى العليلا (279)
 (الخيانة) يقول عنقرة :
 الا يا عبل ان خانوا عهدى
 وكان ابوك لا يرعى الجميلا (280)
 (العناد) يقول عنقرة :
 غراب البين ما لك كل يوم
 تعاندنى وقد اثلقت بالى — 281
 (العزة ... الذل) يقول عنقرة :
 اذا جاروا عدلنا فى هواهم
 وان عزوا لمزتهم نذل — 282
 (المهانة) يقول عنقرة :
 وارضى بالاهانة مع اناس
 اراعيهم ولو قتلوا احلوا — 283

(284) الديوان ص 98
 (285) الديوان ص 65
 (286) الديوان ص 70
 (287) الديوان ص 70
 (288) الديوان ص 66
 (289) الديوان ص 167
 (290) الديوان ص 49
 (291) الديوان ص 430

(275) الديوان ص 50
 (276) الديوان ص 27
 (277) الديوان ص 22
 (278) الديوان ص 52
 (279) الديوان ص 11
 (280) الديوان ص 61
 (281) الديوان ص 63
 (282) الديوان ص 63
 (283) الديوان ص 64

والحجا : العقل والفتنة ، وانشد الليث للأعشى :

اذ هى مثل العض مباله
تروق عيني ذى الججا الزائر

والجمع احجاء . اللسان 14 / 165

والجلم : الآنة والعقل وجميعه اخلام وحلوم .

اللسان 12 / ويستدل من هذا على انهم نظروا للعقل
على اختلاف تسمياته من ناحية وظيفته وهى على
ما يتوضح هنا ذات شقين :

الاول : الوعى والحفظ بمختلف صوره ومراتبه .

الثانى : الكف عن الفعل اخلاقيا كان او غير
اخلاقى ..

وهذا يلفت النظر الى ان اداة الضبط الاخلاقى
فى التصور العربى هى العقل نفسه وليست اداة اخرى
كما نذهب نحن اليوم فما نسميه الضمير كان يستعمل
لعرض آخر وهو (الكتمان) فالضمير هو السرو داخل
الخاطر والجمع الضمائر .

الليث : الضمير الشيء الذى تضره فى قلبك
واضمرت فى نفسى شيئا والاسم الضمير والجمع
الضمائر .. وقال الاحوص بن محمد الانتصارى :

سيبقى لها فى ضمير القلب والحشا

سريرة ود يوم تبلى السرائر

واضمرت الشيء اخفيته .. اللسان 4 / 492 .

النفوس : الروح .. قال ابو اسحق : النفس

فى كلام العرب يجرى على ضربين : احدهما قولك
خرجت نفس فلان اى روحه وفى نفس فلان ان يفعل
كذا وكذا اى فى روعه والضرب الآخر معنى النفس
فيه معنى جملة الشيء وحقيقته تقول : قتل فلان نفسه
واهلك نفسه اى اوقع الاهلاك بذاته كلها وحقيقته ..

قال ابن خالويه : النفس الروح والنفس ما

يكون به التمييز والنفس الدم .. والعرب قد تجعل
النفس التى يكون بها التمييز نفسين وذلك ان النفس
قد تامر بالشيء وتنتهى عنه .. فجعلوا التى تأمره
نفسا وجعلوا التى تنهاه كأنها نفس اخرى وعلى ذلك
قول الشاعر :

يؤامر نفسه فى العيش مسحة

ايسترجع الذوبان ام لا يطورها ؟

ودقائقه ولم يوضع له ترتيب او تبويب كامل ومع ذلك
نهو يزودنا بفكرة واضحة عن نوع التصور العربى
للملكات الانسانية ومدى دقته ودلالته الحضارية .

نلفت انظر هنا الى ان هذا المفهوم ما زال فى
اساسه مفهوما صالحا للدلالة على الملكات الانسانية
حتى فى عصرنا هذا الذى نضجت فيه علوم النفس
وخضعت فيه للتجريب والدراسات المعملية وذلك اذا
استيعمنا من الحساب المفاهيم الحديثة مثل اللاشعور
والمعد والكبت وازدواج الشخصية وانقسامها ..
الخ هذه المصطلحات الحديثة التى لم تكن معروفة
قبل العصر الحديث عند العرب او عند غيرهم ونلفت
النظر ايضا الى ان المفهوم العربى القديم للملكات
الانسانية اقرب فى اساسه واشكاله الى مفهومات
العلم الحديث من غيره من المفاهيم .

فالعقل والنفس والقلب والروح .. الخ ينظر
اليها من ناحية وظائفها لا باعتبارها ماهيات مستقلة
يبحث عن حقيقتها واصلها .. ولذلك اشتقوا لها
اسماء من وظائفها ولم يفسلوا بينها فصلا كاملا وانما
جعلوا لها دوائر متداخلة تشترك فى العمل فى اطرافها .

فالعقل : هو الحجر والنهى ضد الحق والجمع
عقول .. رجل عاقل جامع لامره ورايه مأخوذ من عقلت
البعير اذا جمعت قوائمه وقيل العاقل الذى يحبس
نفسه ويردها عن هواها اخذ من قولهم قد اعتقل
لساته اذا حبس ومنع الكلام والمعقول تعقله بقلبك ،
المعقول : العقل يقال : ما له معقول اى عقل ..
والعقل : التثبت فى الامور . والعقل : القلب ، والقلب
العقل ، ويسمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن التورط
فى المهالك اى يحبسه وقيل العقل هو التمييز الذى
به يتميز الانسان عن سائر الحيوان ويقال لفلان
قلب عقول ولسان مسؤول وعقل الشيء يعقله عقلا
نهمه .. « اللسان » .. 458 ، 459 .

واللب : لب كل شيء ولبابه خالصه وخياره ..
ولب الرجل ما جعل فى قلبه من العقل .. اللسان
1 / 729 .

والنهي : العقل يكون واحدا وجهما .. والنهي
العقل بالضم سميت بذلك لانها تنهى عن القبح ..
وسمى العقل نهية لانه ينتهى الى ما امر به ولا يُعَدَى
امره ، اللسان 15 / 346 .

وانشد الطوسي :

لم تدرك مالا ولست تألها
عمر ك ما عشت آخر الابد
ولم تؤامر نفسك ممترها
فيها وفي اخيها ولم تكذب
وقال آخر :

فنفساي نفس قالت انت ابن بجلد
تجد فرحا من كل غمسي تهلبها
ونفس تقول اجهد نجاك لا تكن
كخاضبة لم يفن عنها خضابها

اللسان 6 / 233 ، 234

الروح : النفس يذكر ويؤنث والجمع الارواح
التهذيب : قال ابو بكر بن الانباري : الروح والنفس واحد
غير ان الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب .

اللسان 2 / 462

القلب : تحويل الشيء عن وجهه . . والقلب
مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط . ابن سيده . القلب
الفؤاد . . وقد يعبر بالقلب عن العقل . . قال الفراء :
وجائز في العربية ان تقول : ما لك قلب وما قلبك معك
تقول : ما عقلك معك وابن ذهب قلبك وابن ذهب
عقلك وقال غيره : لن كان له قلب اى تفهم وتعتبر .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (! تاكم
اهل اليمن هم ارق قلوبا والين افئدة) فوصف القلوب
بالرقة والافئدة باللين . .

وكان القلب اخص من الفؤاد في الاستعمال ولذلك
قالوا : اصبت حبة قلبه وسويداء قلبه . . وقيل القلوب
والافئدة قريبان من السواء وكرر ذكرهما لاختلاف
لفظين تأكيداً وقال بعضهم سمى القلب قلباً لتقلبه .
اللسان 1 / 685 .

الفؤاد : القلب وقيل وسطه وقيل : الفؤاد
غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه وقول ابن ذؤيب :

راها الفؤاد فاستضل ضلاله
فياقنا من البيض الحسان المطائل

راى ههنا من رؤية القلب . . اللسان 3 / 329

الجنان : جن الشيء يجنه جناً : ستره . .

والجنان بالفتح القلب لاستتاره في الصدر وقيل
لوعيه الاشياء وجمعها وقيل : الجنان رُوع القلب وذلك
اذهب في الخفاء وربما سمى الروح جنانا لان الجسم
يجنه وقال ابن دريد سميت الروح جنانا لان الجسم
يجنها . اللسان 13 / 92 ، 93 .

من هذا يتضح ان العقل والنفس . . الى آخره .
هذه الملكات الانسانية لوحظت ورصدت وصنفت
وبويت من خلال طريقة عملها ولذلك لم يفصلوا بينها
فصلا صارما باعتبارها وحدات مستقلة يقوم بها الكيان
الانسانى او تقوم بالكيان الانسانى فهى اشبه بالدوائر
المتداخلة او بالاشكال المتعددة للشيء الواحد فالعقل
يدخل في دائرة القلب او يحل محله والعكس صحيح
والنفس والروح كذلك ايضا .

النفس الانسانية في الفكر العربى والاغريقى

ان هذا المعجم النفسى الذى امكن استخراجه
من الشعر القديم (الجاهلى) يجعل من المشجع ان لم
يكن من الضروري عقد مقارنة موضوعية بين تصور
النفس في كل من الفكرين العربى والاغريقى ، وترجع
اهمية هذه المقارنة الى ان الفكر الاغريقى هو الفكر
الذى ظل حاكما ومسيطرًا على الفكر الانسانى طوال
العصر القديم الى فترة ظهور الاسلام حتى في اوقات
انحطاط هذا الفكر - اى الاغريقى - بل انه الفكر
الذى اثر تأثيرا عميقا بالفعل ويرد الفعل في الفكر
الاسلامى لفترة طويلة وهذا الى جانب انه الفكر الذى
يرجع اليه المستشرقون والذين تأثروا بهم في تصوير
الحالة العقلية للعرب قبل الاسلام حتى رأينا مستشرقاً
مثل (اوليرى Oler) يرد الفكر الاسلامى نفسه
في كتابه الفكر العربى ومكانه في التاريخ الى تأثير
الفكر الاغريقى من خلال اليهودية والمسيحية في سكان
غرب الجزيرة الذين ظهر فيهم الاسلام .

ولما كانت النفس مبحثاً هاماً من مباحث الفلسفة
اليونانية ، سار على دربه في تصور النفس كل من
مفكرى اليهودية ولاهوتى المسيحية وفلاسفة المسلمين
على اختلاف في التفاصيل والاضافات فانه من المهم جداً
في تقييم تصور العرب قبل الاسلام للنفس تقييماً يوضح
دلالاته العقلية ان نقارن هذا التصور بالتصور الاغريقى
لنفس من خلال مذاهبهم الفلسفية المختلفة .

النفس الانسانية في الفلسفة اليونانية (1) :

وقال المتوفسطاثيون بأن الطبيعة الانسانية شهوة وهوى وهنفا اللذة ص 67 ..

ثم جاء سقراط فقال بأن الانسان روح وعقلن يسيطر على الحس ويديره وان الانسان يريد الخير دائما ويهرب من الشر بالضرورة وانه يقترب الشهوات بسبب الجهل ، فالفضيلة علم والرفيلة جهل ص 68 .

وقال بخلود النفس وانها متميزة من البدن فلا تفسد بفساده بل تخلص بالموت من سجنها وتعود الى صفاء طبيعتها ص 68 .

اما افلاطون فقد قال بوجود النفس قبل اتصالها بالبدن استدلالا بنظريته في المثل اذ لما كانت المثل غير متحققة في التجربة بما هي مثل ولا مكتسبة بالحواس فلا بد من قدرة روحية تعقلها او بالاحرى تذكرها بعد ان عقلتها في عالم يماثلها واستدلالا بنظريته في الحركة وان كل متحرك لا بد له من محرك وكذلك الجسم اما رايه في ماهية النفس وعلاقتها بالجسد فلا يخلو من اضطراب وغموض ففى محاوره (فيدون) حدد النفس تارة بأنها فكر خالص وتارة بأنها مبدأ الحياة والحركة وكذلك يضطرب في علاقة النفس بالجسم مذهب تارة الى ان الانسان هو النفس وان الجسد آلة وتارة يوثق العلاقة بينهما فيذهب الى ان الجسم يشغل النفس عن فعلها الفنى (الفكر) ويجلب لها الهم بحاجاته وآلامه وانها هي تقهره وتعمل على الخلاص منه دون أن يبين ماهية هذا التفاعل بل هو يذهب في هذا التفاعل الى حد علاج الجسم بالنفس والنفس بالجسم وقيام الشعور والادراك في النفس عند تأثر الجسم بالحركة المادية على ما بين هذه الحركة والظاهرة النفسية من تباين .

وجعل في الانسان ثلاث نفوس وعين لكل منها محلا في الجسم ، ذلك ان (الصانع) رأى « ان خير مقياس للزمان حركات الكواكب الاخرى مشتعلة مستترة وجعل لكل منها نفسا تحركه وتدبره ولما كان مبدأ التدبير إلهيا بالضرورة فقد صنع هذه النفوس مما تخلف بين يديه بعد صنع النفس العالمية الا انه جعل تركيبها اقل دقة من تركيب هذه فكانت أدنى منها مرتبة ولكنها الهية مثلها عاقلة خالدة ياتيها الخلود لا من طيب عنصرها

ذهب الطبيعويون الاولون مثل طاليس وانكسيمانس الى ان المادة حية وان النفس منبثة في العالم اجمع وذهب انكسيمانس الى ان النفس هواء (ولفظ Psyché) يعنى باليونانية النَّفْس والنَّفْس فالحواء نفس العالم وعلة وحدته .. ص 18 وكذلك تصور الفيثاغوريون العالم على انه حيوان كبير يستوعب بالتنفس خلاء لا متناهيا وراء العالم هو عبارة عن هواء غاية نسي اللطافة ص 29 .

واضطرب رايهم في النفس الانسانية فذهب بعضهم الى ان النفس نغم مركب من توافق الاضداد (الحار والبارد واليابس والرطب) وتناسبها وانها تبقى ببقاء التوافق وتنعدم بانعدامه ص 29 بينما ذهب بعضهم الى انها الذرات المتطايرة في الهواء ص 30 وذهب آخرون الى انها المبدأ الذى تتحرك به هذه الذرات . وقالوا بمقيدة الهنود في التناسخ اى تقمص النفس جسما بشريا او حيوانيا او نباتيا بعد الموت تعود فيه الى الحياة مرة اخرى ، ص 30 .

اما الاليون الذين قالوا ايضا بطبيعة واحدة للعالم الا انهم انكروا الحركة والكثرة فليس لهم رأى محدد في النفس وان كانوا قد انكروا القول بالتناسخ ص 35 ، 44 .

وتابع الطبيعويون المتأخرون القول بمادية النفس وكذلك الالهة وادخل (انباده وتليس) التراب في تكوين النفس وذلك حتى تحس الاشياء الترابية لأن الإحساس عندهم تقابل الاشياء اى الحار في النفس يحس الحار في الطبيعة وهكذا وجعلوا مركز الفكر القلب وجعلوا اختلاف الناس المعنوي راجعا الى اختلاف اجزاء الدم في حجمها وطريقة توزيعها وتمازجها وقالوا ان النفوس البشرية الهة خاطئة / 47 .

وقال ديموقريطس ان النفس مادية مؤلفة من جواهر دقيقة وان النفس مبدأ الحركة في الاجسام الحية ص 50 .

(1) اعتمدت في تلخيص مباحث النفس على تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم مع تصرف بسيط ، وسأعتمد عليه كذلك في بقية الابحاث التى سأقارن فيها بين الفكرين العربى واليونانى ، وذلك لان يوسف كرم عرض للفلسفة اليونانية في تاريخه عرضا دقيقا وانيا .

الماهية ما هو ضد لها فالنفس لا تقبل الموت . من
103 / 112 .

أما أرسطو فقد توسع في دراسة النفس وأمرد لها
كتابا مستقلا ، وقد عرف أرسطو النفس على أساس
من نظريته في الصورة والهولوس فالنفس للجسم الحي
بمثابة الصورة والطبيعة لغير الحي أي أنها مبدأ الأفعال
الحيوية على اختلافها وبنى منهجه في دراسة النفس
على المزج بين الاستقراء والقياس وقال بأننا لا ندرك
النفس في ذاتها ولذا يجب أن نبدا بالظواهر النفسية
مع رد هذه الظواهر الى القوى النفسية التي تعرفنا
بالنفس وذهب الى أن الانفعالات (مثل الغضب والخوف
والرجاء والفرح والبغض والمحبة) لا يمكن أن تصدر
عن النفس وحدها ولكنها تصدر عن المركب من النفس
والجسم وعرف الاحساس بأنه فعل النفس بمشاركة
العضو الحساس المعد لادراك المحسوس كالعين والأذن
كما أن الفعل ولو أنه خاص بالنفس يفتقر للتخيل ولا
يتحقق التخيل من غير الجسم وأذن فجميع الأفعال
النفسية في الأجسام الحية متعلقة بالجسم وداخله في
العلم الطبيعي ولما كانت درجات الحياة أربعا النامية
والحاسة والمتحركة بالنقلة والناطقة ثم أن الحاس
والناطق نازع طبيعا الى الخير الذي يدركه بالحس أو
بالعقل فتكون اجناس القوى النفسية خمسة النامية
والحاسة والناطقة والنازعة والحركة ورايه ان النفس
(كمال أول لجسم طبيعي آلى) أي أن النفس صورة
الجسم الجوهرية ومطه الأول وعنده ان النفوس ثلاثة :
النفس الفأمية وهي مشتركة بين الأجسام الحية جميعا
نهي موجودة في النبات دون الحس والعقل ولا يوجد
الحس والعقل بدونها في الحيوان الأعجم والإنسان
ولهذه النفس وظيفتان : النمو والتوليد . والنفس
الحاسية : وهي حاسة بالقوة لا بالفعل كما أن العضو
الذي تحس به حاس بالفعل لا بالقوة والقوة الحاسة
ليست قوة مادية بديل ان انفعالها ليس من قبيل
الحركة أو الاستحالة المعروفة في الطبيعيات والتي
شأنها أن يفسد بها المنفعل شيئا فشيئا بتأثير الفاعل
وانما هو انفعال من نوع آخر ليس له اسم خاص وليس
فيه تدرج لا يفسد به الحس لانه قوة صرفة من غير
صورة ولكنه يخرج من القوة فيقبل صورة المحسوس
ويتكامل بها مع بقاءه هو هو . وهو يقسم المحسوسات
الى ثلاثة أنواع من الموضوعات : اثنان مدركان بالذات

بل من خيرية الصانع . ثم اتخذ منها أعوانا تصنع نفوس
الاحياء الملتصين وانما مست الحاجة الى هذه النفوس
لتتحقق في العالم جميع مراتب الوجود نازلة من أرفع
الصور الى أدناها وليكون العالم كلاً حقاً وانما وكل
أمر صنعها الى نفوس الكواكب الآن كل صانع يصنع
ما يماثله والصانع الأول لا يصنع الا نفوسا الهية أخذ
أذن ما تخلف من الجوهرين الثاني والثالث وصنع مزيجا
تسمه على الكواكب وكلف آلهتها أن تنزله أجزاء في
أجسام مهياة لقبوله وان تضم اليه نفسين مائتتين
أحدهما انفعالية والاخرى غذائية . أما الانفعالية
مغضبية وشهوانية تحس اللذة والألم والخوف والامتنان
والشهوة والرجاء يضعونها في أعلى الصدر بين العنق
والحجاب لكي لا تدنس النفس الخالدة المستقرة في
الرأس . وأما الغذائية فيضعونها في أسفل الحجاب .
فصنع الالهة الرجل كاملا بقدر ما تسمح طبيعته .
والرجل الصالح يعود جزء نفسه الخالد بعد انحلال
هذا المركب الى الكوكب الذي هبط منه وتتقضى هناك
حياة سعيدة شبيهة بحياة إله الكوكب أما النفس الشريرة
فتولد ثائية امرأة فان أصرت على شقاوتها ولدت نائمة
حيوانا شبيها بخطيئتها وهكذا بحيث لا تخلص من آلامها
ولا تعود الى حالتها الأولى حتى تغلب العقل على
الشهوة وتصعد السلم فترجع رجلا صالحا . ودرجات
هذا السلم المرأة فالطير فالذوايا فالزحافات فالديدان
فالأحياء المائية أوجدتها الخطيئة والجهالة نازلة بها
نحو الأرض درجة فدرجة وهكذا كان الأحياء في ذلك
الزمان واليوم أيضا يتحول بعضهم الى بعض بحسب
ما يكسبون أو يخسرون من العقل وأراد الالهة ان
يلطفوا اثر الحرارة والهواء في الإنسان مع ضرورتهما
له وان يؤثروا له الغذاء فمزجوا جوهرها مماثلا لجوهر
الإنسان بكليات أخرى وأوجدوا طائفة جديدة من الأحياء
هي الأشجار والنباتات والبذور تحيا بنفس غذائية
وليست هذه النفس عاقلة ولكنها تحس اللذة والألم
والشهوة فهي منفصلة وليست فاعلة اذ قد حرمت الحركة
الذاتية فكأنت جسما منبثا في الأرض من 105 ، 106 .

أما قوله بخلود النفس فقد استدلل عليه بمقيدة
التناسخ لأن النفس ما دامت تنقل في الأجسام فهي
لا تموت وان النفس لا بد أن تكون بسيطة ثابتة مثل
المثل التي تشبهها ويأن النفس لما كانت حياة فهي مشاركة
في الحياة بالذات ومنافية للموت بالطبع وليست تقتل

والثالث بالعرض أما الاثنان الاولان فأحدهما المحسوس الخاص لكل حاسة والآخر المحسوس المشترك بين الحواس جميعا ، والمحسوس الخاص هو الذى له حاسة معينة معدة لقبوله بحيث لا تستطيع حاسة أخرى أن تحسه ، والذى يمتنع الخطأ فيه متى كانت الحواس سليمة ولم تؤثر فيها المخيلة والشهوة فاللون محسوس البصر .. الخ والمحسوسات المشتركة هى : الحركة والسكون والمعدد والشكل والمقدار . والمحسوس بالعرض مثل هذا الابيض ابن فلان ، فابن فلان محسوس بالعرض وهناك الى جانب الحواس الظاهرة حواس باطنة هى الحس المشترك والمخيلة والذاكرة ولكل منها وظائف وهى تتعاون فيما بينها .

النفس الناطقة : ويقصد به العقل وهو غير الحس وغير المخيلة وهو يدرك الصورة الكلية أى الماهية بينما الحس يدرك الصورة الجزئية أى الموارض المتشخصة فيها الماهية والعقل قوة صرفة كالخس غير أنه آمن من الحس فى معنى القوة إذ أنه يدرك ماهيات الأشياء جميعا فى حين أن الحس لا يدرك سوى المحسوسات من حيث هى كذلك وهو « مفارق » أى ليس له عضو يعينه الى موضوع ويشاركه فى فعله على عكس الحس ويلبى هذه القوة الصرفة قوة أقرب فان العقل بعد أن يخرج الى الفعل يحفظ صورة الموضوع الذى تعلقه ويستطيع أن يستعيدوها وهو بذلك أقرب الى الفعل من القوة الاولى السابقة على العلم (ويسمى حينئذ عقلا بالملكة) والعقل يدرك الماهيات مباشرة ويدرك الجزئيات المتحققة فيها الماهيات باتمكاسه على الحس الذى هو مدرك الجزئيات باعراضها وباعتباره مدركا للماهيات يسمى عقلا نظريا وباعتباره مدركا للجزئيات يسمى عقلا عمليا والفرق بين الحس والعقل العملى ان الحس يدرك اللاذ والمؤلم فى حقيقته المشخصة والعقل العملى يدرك الخير والشر من حيث هما كذلك وهما معقولان كالحق والباطل ولما كان العقل بالقوة فلا بد من شئ بالفعل يستخلص المعقولات من الماديات ويطبّع بها العقل فيخرجه الى الفعل (وهذا الشئ بالفعل هو « العقل الفعّال » وهذا العقل الفعّال هو القابل للمفارقة وهو غير منفعل أصلا غير ممزج ب مادة لان ماهيته انه فعل والفاعل اشرف دائما من المنفعل والمبدأ (العلة) اشرف من المادة .. وبعد أن يفارق يعود ما هو بحسب ماهيته وهو وحده

من حيث هو كذلك خالد ودائم غير أننا لا نتفكر (نرى حال المفارقة) لانه غير منفعل بينما العقل المنفعل فاسد ومن غير هذا فليس شئ يفكر . ولم يكن أرسطو واضحا بالنسبة للقول بالخلود ولانه اثبت فى عباراته السابقة الخلود للمنفعلة مرة ونفاه عنه أخرى أما أصل العقل الخالد (النفس الناطقة) فلم يوضحه وكل ما قاله « أما العقل فيلوح تماما انه يأتى فينا وهو حاصل على وجود ذاتى وغير فاسد » أما من أين قدم يقل شيئا . ص 198 / 217 .

لم تأت المدارس المتأخرة بجديد يفكر فى مسألة النفس وانما استمرت تردد الإنكار السابقة بين منكرة ومعارضة فصفار السقراطيين أنكروا إمكان العلم واهتموا بالفضيلة العملية ، ص 277 / 285 .

أما أبيقورس فشك فى العقل ووثق فى الإنسان واعتبر النفس مادة تبقى فى الجسم وتنحل بانحلالة وجعلها نفسان أولها وظيفتان واحدة حيوية لبث الحياة فى الجسم والثانية وجدانية تقوم بالشعور والفكر والإرادة وكلاهما مركب من جواهر لطيفة متحركة حارة وان كانت أحدهما الطف من الأخرى والنفس الحيوية تتألم بألم الجسم أما النفس المفكرة أو « نفس النفس » فهى سعيدة دائما والاحساس عنده يتم بسبب (قشور) أى « أشباه » متطيرة محتفظة بصور الأشياء المنبعثة عنها فاذا بلغت القلب حدث الاحساس وكذلك خيالات المنام واليقظة . ص 291 .

وقال الرواقيون ان العقل منبث فى العالم والإنسان على السواء فالمنطق صورة الطبيعة وكذلك الفضيلة وقالوا بالأشياء والمعرفة الحسية والعالم كله جسم حى له نفس حار هو نفس عاقلة تربط بين أجزائه وقد زودت الطبيعة الإنسان بالتمييز بين ما هو موافق لها وما هو مضاد وعادوا الى قول سقراط ان الفضيلة علم والرذيلة جهل ، ص 298 / 310 .

أما الشكاك فلم يقولوا شيئا عن النفس لانهم امتنعوا عن الحكم والجدل وقالوا بنسبية الأشياء . ص 311 / 321 .

أما فى الأفلاطونية الجديدة فقد ذهب نيلسون اليهودى الى أن التوراة هى قصة النفس مع الله وانها تدنو من الله أو تبتعد منه بمقدار ابتعادها عن الجسم أو قربها منه واولوا سفر التكوين بأن الله خلق عقلا

الخامسة : ان هذا التصور ينتقض بعضه بعضا لا باعتباره مراحل في تصور علمي متطور تسير كل مرحلة فيه لمرحلة أعلى منها في اتجاه صاعد - وانما باعتباره قضايا وأخيلة تعالج بمنطق جدلي تنفي كل مدرسة فيه المدرسة الأخرى وتبطل احتجاجها .

هذه جملة ملاحظات أولية على تصور النفس في الفكر الإغريقي على أساسها رأينا في هذا التصور على الوجه الآتي :

1 - بنى الطبيعيون المتقدمون منهم والمتأخرون تصورهم في مادة النفس على ساس من نظريتهم في المادة الحية والنفس المنبثقة فيها وهو تصور خيالي بحث وتعسف في نفس الوقت مبنى على توهم خادع للوجود وهو تصور مختلف تماما عن التصور التجريبي المعلى الذي يقول به العلم الحديث والذي فصل فيه فصلا حاسما بين عالمي الطبيعة والإحياء على أساس من اكتشافه للذرة القابلة للانشطار كأساس لتكوين المواد الطبيعية واكتشافه للخلية الحية القادرة على التكاثر بالانقسام كأساس لتكوين المواد الحية .

2 - ناقض الفيثاغوريون أنفسهم في تصور النفس كما ناقضوا أصول مذهبهم كما يقول يوسف كرم فقد قال بعضهم ان النفس نغم متوافق ويلزم من ذلك ان النفس ليس لها وجود ذاتي لانها مجرد تآلف عناصر وهذا يهدم قولهم بخلود النفس كما يهدم قولهم بالتناسخ ، وقال بعضهم ان النفس هي الذرات المتطايرة في الهواء او المحرك لهذه الذرات وهو قول يبدو لنا الآن مضحكا لان الذرات المتطايرة في الهواء كما نعرفها الآن ليست شيئا غير الغبار المتطاير والحقيقة ان آراء الفيثاغوريين على اختلافها صورة جدلية لآراء البابليين والهنود والمصريين .

3 - جاء رأي سقراط في النفس كرد فعل لتصوير السوفسطائيين للانسان بأنه مركب فقط من الشهوة والهوى وأنه لا يطلب سوى اللذة فقال ان الانسان روح وعقل فذهب متطرفا الى الطرف الآخر منكرا قيمة الكيان المادى للانسان بل انه غالى في تطرفه الى الحد الذي زعم فيه ان الفضيلة علم وان الرذيلة جهل عقليين نبسط القضية تبسيطا يتنافى تماما وطبيعة الانسان اما قوله بخلود النفس فلم يات عليه بدليل وانما هو ترديد لعقيدة معروفة عند اليونان والمصريين والهنود والبابليين .

خالصا ثم صنع على مثال هذا العقل عقلا اقرب الى الارض (آدم) واعطاه الحس (هواء) معونة ضرورية له فطاوع العقل الحس وانتقاد للذة (الحية) وغاية النفس هي البلوغ الى الله بالذات والاتحادية . وللعالم نفس لانه قد صدر عن الواحد العقل فالنفس فالمادة والنفس علة وحدة الطبيعة كما ان النفس الجزئية علة اتحاد أجزاء الجسم الحى ونفوس الكواكب والبشر وسائر المحسوسات فيض عن النفس الكلية واتصال النفس بالمادة اصل نقائصها وشرورها وتظهر بالخلاص من المادة نهائيا والعودة الى حال النفس الاول والفلسفة وسيلة للصعود الى الاول الواحد وهي لا تصل اليه بحس عقلى من حيث ان المعين وحده هو الذى يمكن أن يكون موضوع ادراك بل ينوع من التماس لا يوصف ولا يصدق عليه انه معرفة ولا يميز فيه بين عارف ومعلوم لانه عبارة عن اتحاد تام وغبطة بهذا الاتحاد .

من 330 / 322 .

نقد :

هذا هو مجمل تصور النفس في الفلسفة اليونانية والمدارس التى تأثرت بها على اختلاف نزعاتها ولنسا على هذا التصور بعض الملاحظات :

الأولى : ان أساس هذا التصور خليط من العقائد الهندية والبابلية واليونانية والمصرية مثل التناسخ وتعدد الالهة ونفوس العالم وأسرار العدد . الخ

الثانية : ان جهد الكثرة الغالبة من الفلاسفة لا يعدو ان يكون محاولة لصياغة هذا التصور الخليط في صورة منطق جدلي اما من موقف الامتناع به والدفاع عنه بايراد الأدلة وادخال تفصيلات وتصورات أسطورية في ثوب منطقي واما من موقف رده والانكار له بنفس المنطق .

الثالثة : اننا لا نستطيع ان نستثنى من الفلاسفة احدا ردد الأفكار والعقائد والاساطير القديمة حول النفس غير سقراط وأرسطو بصرف النظر عن الصواب والخطأ في آرائهما .

الرابعة : اننا لا نكاد نجد شيئا من هذه التصورات يثبت للنقد والتحصيل العلمى اى انه باستثناء القيمة التاريخية لهذا التصور باعتباره مرحلة من مراحل الفكر الانسانى في زمان ومكان معينين فان ما يتبقى منه صالحا لاستعماله كأساس في فهم النفس الانسانية لا يكاد يذكر .

4 — أما تصور أفلاطون فقد يكون خيالا مسليا لانه صنع اسطورة فنية جميلة عن قصة الخلق حرصا على ايرادها في التلخيص السابق اما استدلاله الجدلي فنكتفى بها اورفناه في التلخيص من ملاحظات يوسف كرم على ترده وتناقضه اما قوله بثلاثة نفوس مستقلة في جسد واحد فقد زاد به على صعوبة التوفيق بين النفس والجسد صعوبة اخرى هي صعوبة التوفيق بين ثلاث نفوس متباينة ثم زاد في هذا التعقيد والخلط والاضطراب والتناقض استمراره في ترديد عقيدة التناسخ اما ادلته التي سبق ايرادها في التلخيص على خلود النفس فنكتفى بايراد اعتراضات يوسف كرم عليها بقوله « واذا رحنا نحن نفوّم ادلته ونمتحن مقدماتها كما يريد وجدنا الاول « التناسخ » يسلم بالدور تسليما فلا يحاول دعمه حتى يقع في غلط هو أشبه بالمغالطة حين يدعى ان الضد يخرج الضد — وذلك في قوله تديلا على التناسخ ان قانون العالم المحسوس هو تبادل دائر بين الاضداد يتولد الاكبر من الاصغر والاحسن من الاسوء وبالعكس فتصبح لدينا العقيدة القديمة بأن الحياة نبعث من الموت ص 111 — وكلامه يدل فقط على ان الضد لا ينقلب الى ضده حتى يتلاشى اولا كالحار والبارد او يكسب او يخسر شيئا كالصفر يصير كبيرا وبالعكس اما التذكر — اى قوله بتذكر النفس للمثل بعد نسيانها — فليس التفسير الوحيد لتعقل الكليات فقد نجردها من الجزئيات على مذهب ارسطو واما ان النفس حياة وحركة فلا يدل قطعا على بقاء النفوس الا اذا صح ان الحركة والحياة لها بذاتها او ان مشاركتها في الحياة بالذات لا يجوز ان تكون مؤقتة كسائر المشاركات ، او ان بقاء العالم قضية ضرورية . ويبقى تعقل المثل وهو الدليل الاقوى فيها نرى فانه ينظر للنفس في ذاتها لا بالاضافة للجسم وللطبيعة ويراها روحية تدرك الروحيات وتتوق اليها وتعلم ما بينها وبين المادة من تغاير وان حياتها الخاصة لا تتحقق تماما الا بخلاصها من المادة في عالم روحى مثلها ص 113 . وفي رايى ان ابقاء يوسف كرم على دليل تعقل المثل ليس ابقاء على دليل قوى كما تصور وانما ابقاء على دليل يتسق مع التصور المسيحى فى الفصل بين عالمى الروح والمادة . وانصافا لأفلاطون نقول انه على ما يظهر لم يكن جازما بشيء في كل ما قال فقد نقل عنه يوسف كرم قوله على لسان (سيسيلاس) في (فيدون) « ان العلم بحقيقة مثل

هذه الامور ممتنع او عسير جدا في هذه الحياة ولكن من الجبن اليأس من البحث قبل الوصول الى آخر مدى العقل فيجب اما الاستيثاق من الحق واما ان امتنع ذلك — استكشاف الدليل الاقوى والتذرع به في اجتياز الحياة كما يخاطر المرء بقطع البحر على لوح خشب ما دام لا سبيل لنا الى مركب آمن وآمن اعنى الى وحي الهى ص 112 .

5 — نقض ارسطو التصورات السابقة عليه في النفس . ولان ذلك يخدم غرضنا نورد مجمل اعتراضات ارسطو كما لخصها يوسف كرم فيما يأتى : « ان الفلاسفة جميعا لاحظوا ان الحى يمتاز بخاصتين هما الحركة الذاتية والادراك فمن قال منهم ببدا واحد للاشياء تصور هذا المبدأ متحركا وعالما وجعل النفس شيئا منه مثل طاليس وانكسيمانس وهو قليطس ، او تصور المبدأ متحركا فقط ثم حاول ان يعزل به الادراك مثل ديموقريطس . ومن قال بمبادئ عدة ألفت النفس منها جميعا مثل اينادوتليس وأفلاطون لكى تدرك النفس بكل واحد من اجزائها العنصر الشبيه به في الاشياء ثم ان كثرتهم اضافت للنفس اللطافة والبعد عن كثافة الجسمية ما أمكن . . . وردود ارسطو طويلة نجتزئ منها بالنقط الآتية : لا يمكن ان تكون النفس جسما لان التفكير والتخيل والاحساس لا تبثها ظواهر النار ولا الهواء ولا اى جسم آخر ، انها ادراك والادراك غير منقسم لا يتصور له نصف او ربع فمحال ان يصدر عن الامتداد المنقسم ويقال مثل ذلك من باب اولى عن التعقل يضاف اليه ان الوجدان يرد مختلف الظواهر النفسية الى الوحدة فكيف كان يتسنى ذلك لو كانت النفس مجموعة ثرات وكيف كانت النفس تدرك الكثرة لو لم تكن واحدة غير منقسمة ؟ . . . واذن فقد اصاب أفلاطون لوضع النفس روحية (بالرغم من بعض تعبيراته) ولكنه يعرفها بأنها متحركة بذاتها ومعنى هذا انها في المكان بالذات لا بالعرض والواقع انها في الجسم وان الجسم هو الذى في المكان ثم ان التعقل وهو عنده الوظيفة الاقرب للنفس — يبدو وكأنه سيكون لا حركة وبالاخص التعقل الالهى فانه دائما هو هو دون تعاتب ولا تكرار . وليس يجدى تعريف أفلاطون للنفس في تفسير الحركة البادية في الطبيعة فان النفس اذا كانت تتحرك بذاتها فهى تستطيع ايضا ان لا تتحرك فتصبح الحركة العالمية ممكنة لا ضرورية ولقد ذهب أفلاطون الى ان للانسان نفوسا ثلاثا ، ولكن هذا التصور

يهدم وحدة الحى فان الحى لا يستبد وحدته من الجسم والجسم مفترق بطبيعته لمبدأ يرده واحدا والواقع ان النفس واحدة وانها كلها فى الجسم كله يقابل انفعالها المتعددة قوى منها متعددة يدل على ذلك ان النباتات والحيوانات الدنيا اذا قسمت كان من اقسامها احياء من ذات النوع كل منها حاصل على جميع قوى النفس المقسومة قائم بجميع وظائفه . والتعليل الوحيد ان النفس واحدة بالفعل كثيرة بالقوة ولا يقدح فى ذلك ان الحشرات الناتجة عن القسمة لا تعمر فان قصر عمرها راجع الى ان القسمة تضعف فيها آلات البقاء .

هذا مجمل نقد أرسطو لآراء من سبقه فى النفس فماذا عن رايه هو ؟

الحقيقة ان أرسطو هو اول مفكر يونانى حاول ان يرسى الفكر على اساس من الواقع وان يبنى تصوراته على اساس من التسجيل الدقيق للملاحظات فى الواقع الموضوعى للوجود ولكنه على الرغم من ذلك وقع فى نفس الشرك الذى وقع فيه سقراط ، وأفلاطون كرد فعل للسوفسطائية وهو محاولة رفع الانسان من الحضيض الذى وضعه فيه السوفسطائيون وذلك عن طريق الاستدلال على وجود عالم روحانى رفيع الى جانب العالم المادى الفلظ (الجسد) وفى داخله وقد اضطر أرسطو الى الاخذ بتقسيم أفلاطون للنفس الثلاث رغم اعتراضه الشديد عليه ورغم محاولته الإبقاء على وحدة الانسان غير منقسم على نفسه فذهب الى ان بالانسان ثلاثة انفس نامية وحاسة ناطقة وان حاول التهوين من خطر هذا التقسيم بقوله ان النفس واحدة بالفعل كثيرة بالقوة لانه انتهى الى القول بان نفسا واحدة من هذه النفوس هى النفس الناطقة بل جزء واحد منها فقط هو العقل الفعال او المنفعل على اضطراب منه هو الخالد من النفس ولا يستقيم ذلك الا اذا سلم بمصدر مختلف للنفس الناطقة يكون خالدا ومختلفا عن مصدر النفسين الاخرين بل ان أرسطو ليضطرب أكثر فيجعل « التوليد مشاركة فى الدوام والالوهية بقدر ما يستطيع الكائن المائت » ص 203 بل انه ليخرج من النفس كلية — لكى ينسجم مع منطق الجدلى — المخيلة والذاكرة ويجعلها قوى باطنة لا تنتميان الى عالم النفس ولا الى عالم الجسد ولا الى عالم بعينه اما تقسيمه للنفس الناطقة فهو تقسيم جدلى خالص والاولى به ان يسمى النفس

الارسطية لا النفس الانسانية فهو يجعل العقل الفعال فى النفس الناطقة غير متعلق بعضو لا لشيء الا ليفرق بينه وبين الحس ولكنه لا يذكر لنا دليلا على المفارقة وهل يكفى فى التلليل ان يقول انه قوة صرفة ؟ لقد وصف الحس ايضا بأنه قوة صرفة فهل يكفى للفرقة بينهما قوله ان العقل آمن من الحس فى القوة ؟ ولكنه حين وجد نفسه فى مأزق ضرورة خروج هذا العقل من القوة الى الفعل اضطر الى اختراع عقل آخر سماه العقل المنفعل والعقل بالملكة والعقل العملى .

والحقيقة ان النفس بتصورها هذا تعد اختراعا غير مسبوق من أرسطو .

6 — تبقى بعد ذلك آراء المدارس المتأخرة على اختلافها ، من صفار السقراطيين الى الابيقوريين الى الرواقيين الى الشكاك الى الافلاطونية الجديدة وهى فى جملتها ليست شيئا أكثر من ترديد الآراء السابقة او تفصيلها او نقضها والاعتراض عليها او تعليق الحكم .

7 — اذا اردنا ان نقيم فى النهاية تصور الفلسفة اليونانية على اساس ما يتبقى منه للانسانية فى مجال العلم بالنفس او تصحيح السلوك فلا نجد بين ايدينا شيئا نمسكه غير صورة تاريخية لجدل طويل مضطرب متناقض وغير نوايا طيبة حول اعلاء قيمة الانسان ولكن مع الاسف الانسان باعتباره اليونانى فقط لان الفكر اليونانى لم يعترف على طول تاريخه بقيمة انسانية لغير اليونانى بل وبطريقة خاصة منه كما فى تقسيم أفلاطون لجمهوريته وفى تصور أرسطو للحكومة المثلى . وذلك باستثناء الرواقيين الذين دعوا الى ان لا « يتفرق الناس مدنا وشعوبا لكل منها عصبية وقانونه فانهم جميعا اخوة ليس بينهم اسيااد وعبيد ، وهم جميعا مواطنون من حيث انهم متفقون فى الماهية وموجودون فى طبيعة واحدة هى أهمهم وقانونهم فوطن الحكيم الدنيا بأسرها وما ابعدنا عن أفلاطون وأرسطو » ص 310 .

النفس الانسانية فى التصور العربى :

فى اطار المعجم الذى استخرجناه من الثمر القديم الذى سبق لنا استعراض تفصيلاته نستطيع ان نحكم بان العرب كان لهم تصور كامل وشامل ومنفصل ومحدد فى النفس الانسانية ووظائفها واراداتها وانفعالاتها واحاسيسها وفى علاقتها بالجسد ولنا على هذا التصور عدة ملاحظات نجملها فيما يأتى :

1 — يخلو هذا التصور تماما من الاساطير والمعتقد الشعبية التي شاعت عند الشعوب الأخرى مثل الهنود والبابليين والمصريين مثل التناسخ ونفس العالم وأسرار العدد . . الخ وهي الاساطير والمعتقد التي كانت الأساس الذي بنت عليه الفلسفة اليونانية تصورها للنفس الإنسانية .

2 — ان هذا التصور لا يقوم على أساس من المنطق الجدلي وإنما يقوم على أساس الاستقراء المبني على الملاحظة الشاملة والدقيقة للنفس في أحوالها ووظائفها وعلاقاتها .

3 — ان هذا التصور غير متناقض وغير متنازع عليه لأنه لا يبدو انه اجتهد تحكّم من أشخاص معروفين ينتقض بعضهم بعضا وإنما هو علم أمة بأكملها شاركت جميعها في وضع صياغته وتفصيلاته .

4 — ان هذا التصور لا يبدو كخطوات متتالية من مراحل ينتفض بعضها بعضا وإنما يبدو انه نما عليها سليا بالاضافة والاتساع والتعميق لا بالنفسي والاستبعاد .

5 — ان هذا التصور وبعد كل هذه القرون الطويلة التي مضت عليه وبعد ظهور العلوم الحديثة ومنها علم النفس بفروعه المختلفة وبجانبه النظرى والعملى لا يمكن اعتباره مرحلة جاوزها التطور أو علما ينقح بالتصحيح والاستبعاد وإنما يمثل مرحلة حية قابلة للاتساع والتفصيل بالاضافات الجديدة .

هذه جملة ملاحظات أولية على تصور النفس في الفكر العربى نعرض على أساسها رأينا في هذا التصور على الوجه الآتى :

وضع العرب ملاحظاتهم عن النفس الإنسانية في مصطلحات محددة تناولت النفس من مختلف جوانبها ودون سؤال عن ماهية النفس أو العقل أو الروح . . الخ ، فالنفس والعقل والروح . . الخ ، وصف لعمليات ووظائف يقوم بها الوجود الانسانى .

ولهذا اشتقت اسمائها من المعانى المناسبة لها . فالعقل ملكة تكف واخذ لها اسمها من عقل الدابة أى كنها عن الجرى ، والعقل هو اللب أيضا لأنه أخص شيء فى الإنسان وأدل شيء عليه ، ولذلك اشتقوا له اسما من لب الشيء بمعنى خلاصته والعقل أيضا هو النهى واخذ هذا الاسم من نهاية الشيء بمعنى آخرته

وذلك لان العقل يوقف الانسان على الغاية وينهاه عما وراءها مما لا يجب فى الاخلاق أو لا يصح فى الآراء أو الاعمال وهو أيضا الحلم وهو مأخوذ من الاتاة أى التريث والتثبت وعدم التسرع ذلك ان من خصائص العقل الرشيد ان يثبت فى حكمه ولا يتسرع فى رأيه ويتريث فى غضبه واندفاعه .

والنفس لفظ لا يدل على ماهية وإنما هو اصطلاح عام يستعمل أحيانا للدلالة على الإنسان ككل كما تستعمل أحيانا مثل لفظ روح رمزا على ما تقوم به الحياة فى الجسد ورغم ان العربية تشارك اليونانية فى اشتقاق النفس من النفس بمعنى الهواء (Psyché) الا ان العرب لم يقوموا فى الوهم الذى وقع فيه معظم فلاسفة اليونانية وهو اعتبار النفس (الهواء) نفسه هو النفس الإنسانية والعالمية أيضا وإنما فصل العرب فصلا جازما بين النفس الإنسانية وبين النفس (الهواء) ولم يجعلوا هذه من تلك وكل ما فى الأمر انهم لاحظوا المشابهة بين لطف الهواء وسرعة انتشاره وبين لطف هذا السر الذى يتخلل الجسد وينتشر فيه فتدب معه الحياة كما انهم لم يقوموا فى وهم النفس العالمية لان النفس عندهم خاصة بالإنسان بكل ما هو به انسان وإلى جانب هذا الاستعمال العام للنفس قد ينظر الى وظيفة لها متخصص فيقال نفس خيرة ونفس شريرة ونفس إماراة ونفس حزينة ونفس شجاعة . . الخ ، وهكذا الحال بالنسبة للقلب والفؤاد والكبد — اذا نسبت اليه اعمال نفسية — والضمير فهذه كلها أسماء ترمز الى عمليات تم رصدها وملاحظتها ووصفها ثم تبويبها تحت هذه التسميات الخاصة التى لا يتحدد أى منها بأية دلالة ماهوية ولا يتخصص بجانب من وجود الإنسان ولا يتحيز منه فى عضو خاص . .

واذن فالنفس والعقل والقلب والروح فى التصور العربى ليست وحدات مستقلة بذاتها ولا متنازعة فى ارادتها ولا مختلفة فى مصادرهما ومصائرهما وإنما هى الإنسان كله أو الإنسان فى حالة من حالاته ، الإنسان ككل وجودى متكامل له حاجاته المتنوعة ووظائفه المتعددة من تفكير وتدبير وتمييز ورأى وإدراك وانفعال ونزوع وشعور وعواطف وأحاسيس . أى ان هذه التسميات تتعلق بالذات الإنسانية فى حالة من حالاتها أو موقف من مواقفها ، فالذات الإنسانية فى حالة تعقلها للأمور ، وتمييزها لها وسيطرتها عليها وإدراكها لها وتبويبها . .

هى عقل او لب او نُهَى أو جِلْم .. الخ ، وهى فى حالة اضطرابها الداخلى بين الخير والشر والنزوع والكف فى الصواب والخطا ، والتردد بين الحق والباطل وما يشتبه من الامور نفس .. وهى كذلك فى حالة تعلقها بالجسد وفى حالة انفعالها بالحزن والفرح والرضا والغضب والحب والبغض وهى فى هذا الجانب ايضا تلب لان اصطلاحى نفس وتلب يستعملان معا للدلالة على المواطن المتقلبة والمختلفة والمختلطة ومثل ذلك الفؤاد .

ونلاحظ ان العرب قد استخدموا الكيد حين ارادوا التعبير عن المواطن فى اتمى درجات الحدة فالحزن البالغ والغيظ العنيف والحقد الشديد يرمز له بالكيد لان لون الدماء الاسود فيه يرمز بأدق الدلالات الى الاحتراق العاطفى الشديد فى الدلالات .

ونلاحظ ايضا ان الضمير فى العربية هو السر داخل الخاطر ، والضمير هو الشيء الذى تضرره فى نفسك او تلبك فالضمير لم يكن يستعمل عند العرب بالمعنى الذى يستعمل فيه الآن ، اى بمعنى اداة الضبط الاخلاقى ، وانما استعملوه فى جده اللغوى وهو السر المكون اى ان الضمير عندهم هو عملية الاضرار نفسها اى كتم الاسرار وعدم البوح بها ، اى انه الذات فى حالة اسرار تختلف باختلاف السر المكون وهو اصطلاح يشمل كتم المواطن او الآراء او الرغبات او القرارات .. الخ ، اما اداة الضبط الاخلاقى عندهم فهى العقل بكل اسمائه لان العقل اصطلاح على كل وظائف الوعى والاستيعاب والكف والنهى اخلاقيا كان او غير اخلاقى ، والتبصر وحسن التصرف فى الامور وانسلوك على السواء .

وهذا التصور ادق كثيرا من تصورنا الحديث نفسه الذى اراد ان يجعل للضبط الاخلاقى جهازا مستقلا عن العقل بمعناه العام دون شاهد من تجربة او يقين من علم .

هذا التصور لوحدة الذات الانسانية التى تختلف بها الحالات ولا تختلف عليها الادوات هو نفس الاتجاه الذى استقرت عليه علوم النفس الحديثة التى تركت الجدل واخذت بالتجريب والتى تدرس الانسان لا باعتباره ماهية معروفة ولكن موجودا لا يمكن التعرف

عليه الا فى حالة تعلقه بالجسد المادى كما لا يمكن التعرف عليه الا فى صورة وظائف وعمليات ، اى ان النفس هى الانسان كله عقلا وروحا وجسدا فى كل واحد غير منقسم ومن اجل ذلك يدرس الانسان كله تحت باب علم النفس فكرا وسلوكا وادراكا من خلال وظائف الجسم نفسه وعملياته الظاهرة وامصلبه واجهزته .

ولقد رفض العلم الحديث فكرة الثنائية : اى تقسيم الانسان الى روح وجسد او نفس وجسد وبالتالى كل التقسيمات التى تقسم الانسان عوالم منفصلة اى انه رفض كل تصور الفلسفة اليونانية والمدارس التى تأثرت به فى النفس ورفض مبحث الماهيات والاعراض واهتم بالظواهر والظواهرات والوظائف ، اى ان العلم رفض من الفلسفات القديمة بل والحديثة ايضا هذا المبحث الذى ثار حوله الجدل العقيم فى الفكر الفلسفى قديمه وحديثه وعاد الى نفس الموقف العربى القديم موقف الملاحظة لما نستطيع ان نلاحظه ونصفه ونراه ونحسه وندركه ونميزه ونحكم فيه ونفحصه فى الانسان والارض فى الحياة والمادة ولم تكن للعربى فى القديم معاملة او مدارس التجريبية ، وانما كان له نظره السليم وتقديره السليم فى حدود ما تتناوله امكانياته من ظواهر الاشياء وما ندل عليه فى نفسها او فيما هو ابعد منها .

وحين جاء الاسلام اقر العرب على تصورهم للنفس واستعمل القرآن العقل باسمائه المختلفة نفس نفس الحدود التى استعملوها فيها وكذلك النفس والقلب وادار الحديث اساسيا حول النفس ككل . فوجه اليها الخطاب بالتكليف والامر والنهى والجزاء والمسؤولية وحاكمها الى العقل واللب والفكر .. الخ ، وحين توجه الى الرسول عليه السلام سؤال عن الروح لم يتوجه اليه من العرب وانما توجه اليه من اليهود — حملة الفكر الاغريقى — فجاء القرآن موافقا لتصوير العرب وهو ان السؤال عن الماهيات مرفوض لان علم الانسان لا يملك الاجابة عليه ولان ماهيات الاشياء غيب مغيب وهى من امر الله فقال : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » سورة آل عمران : 72 : ولم يرد ذكر الروح فى القرآن سوى 22 مرة منها 12 فقط بمعنى انساني والباقي بمعنى امر الله وجبريل والقرآن .. بينما ورد ذكر النفس فى احوالها المختلفة 287 مرة .